دار الثقافة

قضايا الروح القدس

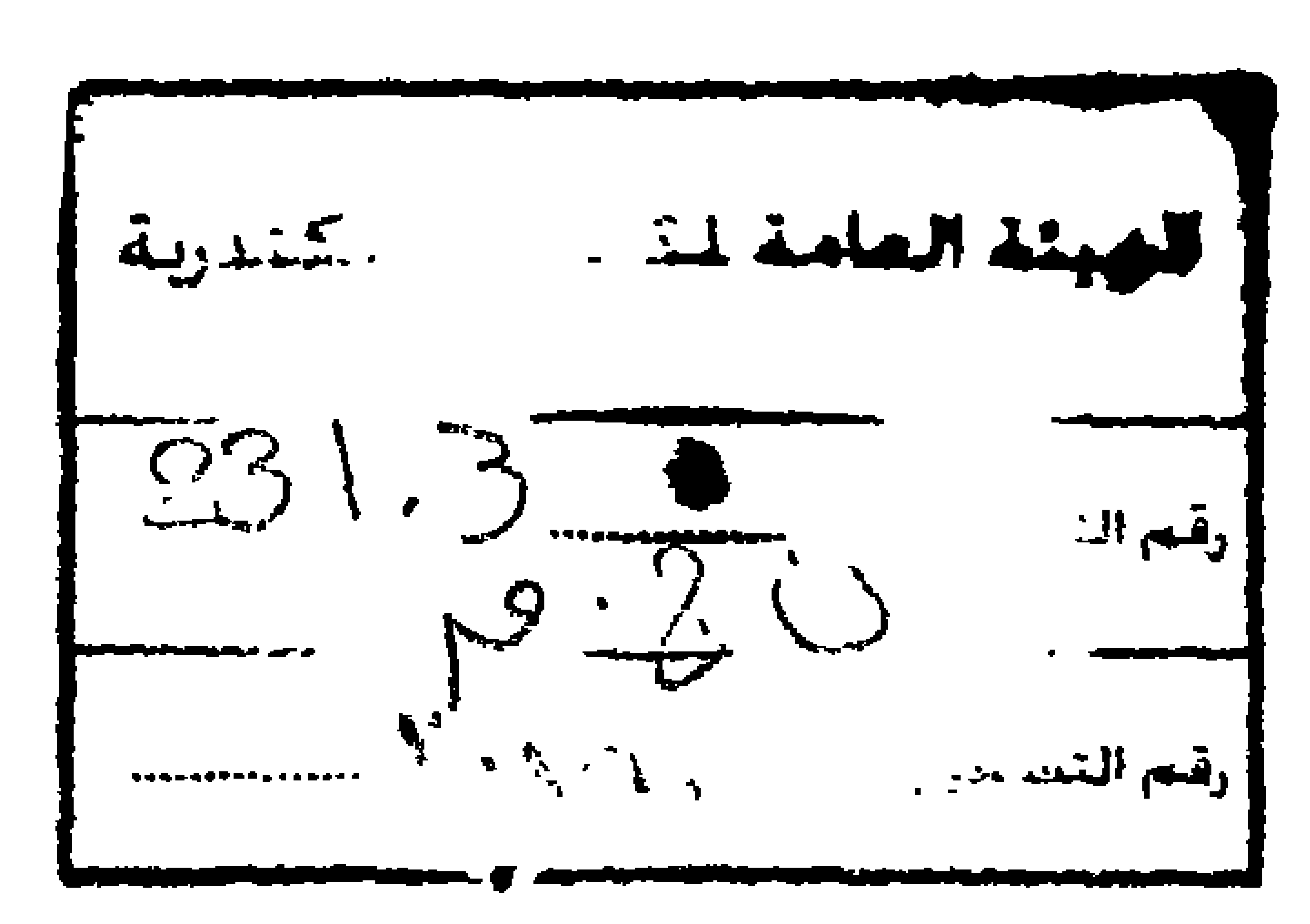


دكتور القس مكرم نجيب



قضايا الروح القدس

دكتور القس مكرم نجيب





طبعة ثانية

قضايا الروح القدس

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٦٣٢ ط٢ / ٥٠٠ - ٥ . ١ / ٩٤ - ٩٧

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٣٩٣٧/ ٩٧

ISBN 977 - 213 - 357 -1

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

مقدمة

لقد نشرت عبر السنوات الماضية عدة دراسات حول قضية الروح القدس، ويرجع هذا إلي أهمية الموضوع داخل المجتمع الكنسي والمسيحي بشكل عام، ومع أهمية هذه الدراسات وتعمقها إلا أنه هناك احتياج ملحّ لوجود عمل متكامل يشمل الأبعاد الدراسية الكتابية ومشكلات التطبيق العملي لهذه القضية.

لهذا جاءت هذه الدراسة «قضايا الروح القدس» لتكون عملاً متكاملاً يتناول بالبحث الكتابي المفاهيم المتنوعة لشخص الروح القدس وتفاعله مع الإنسان كفرد وكجماعة.

إن دار الثقافة يسعدها أن تقدم هذا العمل إلي القارئ الباحث والمجتهد في فهم كلمة الله.

دار الثقافة

الفهرس

مقدمة المؤلف

منذ أعوام طويلة وأنا أشعر بالحاجة الملحة إلى كتاب حول الروح القدس والقضايا العديدة المتصلة به. فالكنيسة لا يمكن أن تحيا وتتقدم وتمتد، والمؤمن لا يمكن أن ينمو ويثمر، بدون عمل الروح القدس. ومن الناحية الأخرى هناك التعاليم والتيارات المختلطة حول هذا الإتجاه، والتى تأتينا من كل جهة، فالعالم أصبح بفعل ثورة الإتصالات والمعلومات قرية صغيرة، والمجتمع أصبح بفعل الضغوط المتراكمة، وغياب التعليم الصحيح فترات طويلة، وبالتالى وجود الخلط الواضح فى الفكر الكتابى واللاهوتى عند قطاعات عريضة من الشعب والقادة، أقول أصبح البعض بفعل هذه العوامل وغيرها الكثير، قابلاً بل محمولاً بكل ريح تعليم. وأمام الإحساس بالمسئولية كتبت أولاً كتاب «الحركة الكاريزماتية» عام ١٩٨٧ فى محاولة لتأريخ وتعريف هذه الحركة ودواعى نشأتها وتقييمها أو تقويمها.

ولكننى من وقتها أدركت الحاجة إلى كتاب آخر يقدم لاهوت الروح القدس والقضايا المرتبطة به بشئ من العمق والوضوح فى نفس الوقت، وهكذا بدأت فى إعداد وتقديم بعض الدراسات فى الكنيسة بمصر الجديدة، وبعد رحلة طويلة من الحوار حولها فى إجتماعات وسط الأسبوع، أو فى جلسات الشباب والقادة، أردت أن أقدمها فى هذا الكتاب إلى الكنيسة

العامة فى مصر وإلى القارئ العربى عموماً.

وكل رجائى ودعائى أن يستخدم الله هذه الدراسات حول هذا الإتجاه الحيوى والهام خير استخدام. شاكراً من أعماقى الكبار والشباب والقادة الذين ناقشوا فأثروا الحوار، والخدام والزملاء الذين قرأوا وراجعوا فكانت ملاحظاتهم إضافات قيمة.

دكتور القس مكرم نجيب

الباب الأول

نظرة كتابية لاهوتية

الفصل الأول

« من هو الروح القدس » ؟

«ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء»

(أفسس ٤ : ٣٠)

* من هو الروح القدس؟
* هل هو قوة؟
* هل هو تأثير ما ؟
* هل هو إنفعال ما ؟
* أم هو شخص الله ذاته؟

لكى نصل إلى الإجابات الصحيحة لهذه الأسئلة وغيرها لابد لنا من الرجوع إلى الكتاب المقدس، ففيه الإعلان الحقيقى الواضح. هناك محاولات فى التاريخ الكنسى أو الإختبار البشرى، ولكن الطريق الآمن الذى لا يكابر ضده أحد هو الدراسة الكتابية التى تتضمن كل شئ من لاهوت واختبار.

تعلن الآية التى إخترناها محوراً لنا أن الروح القدس هو «شخص» وليس شيئاً أو مجرد قوة، فعندما يقول الرسول بولس «لا تحزنوا» يتحدث عن شخص يحزن ويفرح، عن شخص له مشاعر وإنفعالات ينفعل ويتأثر. وكلمة الرب تؤكد لنا هذه الحقيقة فتقدم لنا الروح القدس كشخص يشهد ويعزى ويتكلم ويبحث أعماق الله ويرشد ويرسل ويبكت ويعلّم ويعمل فى الكنيسة. وتنسب إليه كشخص المعرفة والعقل، المحبة والحزن وموقف الناس منه هو موقف من شخص يثورون ويكذبون ويجدفون عليه ويزدرون به ويحزنوه (إشعياء ٦٣: ١٠) «ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه...» (أع ٥:٣ ولو ١٢: ١٠ وعب ٢٩:١٠). إذن الروح القدس ليس تأثيراً أو إنفعالاً ولا مجرد قوة بل هو شخص... هو شخص الله ذاته. أليس هو روح الله؟ وأحد الأقانيم الثلاثة التى تعبر عنه.

إذا إستطعنا إدراك هذه الحقيقة الأولية عن الروح القدس لتغيرت أشياء كثيرة فى فهمنا وبالتالى فى سلوكنا العملى نحوه.

على أن معرفة الشخص أمر سهل، ولكن معرفة شخصية هذا الشخص ليس بالأمر السهل. والأصعب أن نعرف شخصية الروح القدس الذى لم يتجسد أبداً. لكن يمكننا أن نعرف شخصيته من خلال عمله الذى يظهر فى علاقته بالمسيح وبالآب وبالناس.

ففى علاقته بالمسيح كان الروح القدس قوة له فى حياته على الأرض، نزل عليه فى المعمودية وكان أول شاهد له مع الآب، وفى التجربة كان المسيح يقتاد ويواجه المجرب بالروح، وعندما أعلن إرساليته وبشارته فى مجمع الناصرة قال: «روح الرب علىّ..» وفى مواجهة الفريسيين قال: «إن

كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله». كما كان الروح القدس وعدا من المسيح أخذه من الآب ليرسله ويسكبه على تلاميذه، «ومتى جاء المعزى الذى أرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى». (يوحنا ١٥:٢٦) وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً : «إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى، قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يوحنا ٧:٣٧:٣٩).. والتمجيد هنا معناه موت وقيامة وصعود المسيح كأساس لإرسالية الروح القدس، وإن كان الروح القدس قوة للمسيح ووعداً منه فى حياته على الأرض، فلقد كان شريكاً للمسيح فى العمل بعد القيامة والصعود، وهذا ما حدث فى سفر الأعمال فى يوم الخمسين أو مع السامريين أو مع الأمم. إن أهم عمل للروح القدس هو تحقيق عمل المسيح فى حياة الذين يؤمنون به، فهو الواسطة التى تحقق عمل السيد الفدائى فى حياة الناس «إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له». (رومية ٨:١و٢و٨و٩). وفى كورنثوس الثانية نجد المساواة بين الروح القدس والمسيح، «وأما الرب فهو الروح» (٢ كو ٣:١٧).

وفى علاقة الروح القدس بالآب نراه واسطة الآب فى الخلق «روح الله

يرف على وجه المياه» (تك ١:٢). وواسطة الآب فى الفداء والخلاص والإنقاذ مثل ما كان يحدث فى حلول الروح على القضاة وفى تحويل العظام اليابسة إلى جيش عظيم فى (حزقيال ٣٧). وواسطة الآب فى الإعلان «لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (١ كورنثوس ١١:٢). وهو يعلن أمجاد الخلاص (١ كورنثوس ١:٢).

أما عن علاقة الروح القدس بالإنسان فهو بالنسبة للخطاة «يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» (يوحنا ١٦:٨-١١). إنه يكشف ويظهر للعالم خطيته ليؤهل العالم لدخول الملكوت. وهو بالنسبة للمؤمنين، للكنيسة، فهو من الخارج سيد يقود ويرشد ويختار ويعين ويكشف (أعمال ١٣:١-٤و١١:٢٧- ٣٠ و١٥:٢٨ و١٦:٧-٨ و١٩:١٠). وهو من الداخل هبة «يهب الروح القدس للذين يسألونه» (لوقا ١١:١٣) وعطية «فتقبلوا عطية الروح القدس» (أعمال ٢:٣٨). وعن الأمم «الله العارف القلوب شهد لهم معطيا الروح القدس كما لنا أيضاً» (أعمال ١٥:٨). وإن كان الروح القدس هو السيد وهو العطية فهو الكل فى الكل فى حياتنا. وهو الذى يربطنا إذن بالآب وبالابن ولذلك سمى «روح الشركة».

الفصل الثاني

معمودية الروح القدس

بما أن الروح القدس هو شخص الله ذاته، فهو يسكن فينا عندما نقبل بالإيمان عمل الله الآب عنا فى شخص الرب يسوع، فقبول المسيح فى القلب هو قبول الروح القدس فى الحياة، وذلك لأن الولادة الثانية هى من عمل الروح القدس، كذلك كل من ولد من الروح (يوحنا ٣:٨). وعندما نقبل الروح القدس نبدأ رحلة الحياة فى الروح أى الحياة فى المسيح (غلاطية ٢:٨). ويؤكد الرسول بولس نفس المعنى عندما يقول للمؤمنين فى كنيسة رومية «فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ان كان روح الله ساكنا فيكم ولكن أن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له». (رومية ٨:٨و٩).

هذا هو الاختبار الرئيسى فى حياتنا، إختبار الحياة فى المسيح، الاختبار الذى يبدأ لكنه لا ينتهى بل يمتد وينمو ويسمو كلما نما المؤمن فى علاقته بالرب وتعمق ونضج فى خبرته الروحية. هذا الاختبار المبارك، الذى هو قبول الحياة الأبدية فى شخص الرب يسوع بعمل الروح القدس فى حياتنا، يأتى

فى الكتاب المقدس بمسميات مختلفة وعبارات متعددة لكنها جميعاً تشير إلى نفس المدلول وإلى ذات الإختبار مثل: سكنى الروح، ختم الروح، مسحة الروح، معمودية الروح، قبول الروح القدس... إلخ. وهو ما دعا بطرس أن يسميه «التوبة للحياة» (أعمال ١١:١٨). كما أن الرسول بولس يربط هذا بالإيمان...« إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس» (أفسس ١:١٣).

إذن معمودية الروح القدس هى عبارة من هذه العبارات المترادفة التى تشير إلى إختبار قبول الرب يسوع، والاتحاد به بموته وقيامته، وبالتالى إلى جسده فى العالم، وهو اختبار جميع المؤمنين بالرب. ويشرح الرسول هذا المعنى قائلاً «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد كذلك المسيح». (١ كورنثوس ١٢:١٣).

أما الإعتراض الخاص بـ (أعمال ١٩:١-٧) والذى فيه نرى حديث الرسول بولس إلى تلاميذ أفسس، فبمحاولة بسيطة لفهم النص من ناحية، وربطه بالأعداد السابقة فى (أعمال ١٨:٢٤-٢٦) من ناحية أخرى، يتبين أنهم تلاميذ ليوحنا المعمدان، وأنهم أستقوا أفكارهم من أبولس الذى كان «عارفاً بمعمودية يوحنا فقط»، وبالتالى فهم ليسوا مسيحيين. وعندما جاء إليهم الرسول بولس فى أفسس وأخبرهم أن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى المسيح يسوع، لما سمعوا ذلك إعتمدوا باسم الرب يسوع وهنا اختبروا حلول الروح القدس عليهم. ومن هنا يكون هذا النص فى وضوحه وقوته مثبتا ومؤكداً للمفهوم الكتابى السليم لمعمودية الروح القدس. «فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم

على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس». (أعمال ٢:٣٨-٣٩).

لكن البعض مازال يسئ فهم هذه العبارة ويقولون إنها إختبار خاص أو «البركة الثانية» بعد التجديد التى يحصل عليها جماعة خاصة من المؤمنين وفى هذا الاختبار يحصلون على القوة الروحية للحياة والخدمة.

هذا المفهوم لا نجد له السند الكتابى الذى يدعمه. بل إن الكتاب المقدس يؤكد أن هذا التعبير «معمودية الروح القدس» الذى لم يظهر فى العهد الجديد بتاتاً كاسم، ولكنه يظهر فى بعض المواقع كفعل «يعمدكم» مثل (متى ٣:١١ ومرقس ١:٨ ولوقا ٣:١٦و يوحنا ١:٣٣ وأعمال ١:٥،١١-١٦). أقول أن الكتاب المقدس يؤكد أن معمودية الروح القدس هى إختبار جميع المسيحيين المؤمنين.

وفى كل الشواهد السابقة التي ورد فيها هذا الفعل نجد مقارنة بين معمودية يوحنا ومعمودية أو تعميد المسيح. يوحنا يعمد بالماء والمسيح يعمد بالروح القدس، معمودية يوحنا للتوبة للإعداد لظهور ملكوت السموات ومجئ المسيا (ملاخى ٣:١، ٤:٥، متى ٣:٢-١٣و١٧:١٠، لوقا ١:١٦-١٩) ومعمودية المسيح تعنى مجئ المسيا وفتح باب الملكوت للجميع لأن الوعد قد تم. يوحنا عمد للإعداد للملكوت ويسوع يعمد لدخول الملكوت. إذن معمودية الروح القدس هى دخول كل من يؤمن بالرب يسوع إلى ملكوت الله بالروح القدس.

وفى سفر الأعمال توجد حادثتان ارتبطت بهما شهادة يوحنا المعمدان

بالمسيح بأنه «يعمد بالروح القدس» الأولى حادثة يوم الخمسين إذ يقول البشير لوقا : «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى. لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير» (أعمال ١:٤و٥). ومن المعروف أن كل من حل عليهم الروح القدس فى ذلك اليوم كانوا من اليهود. والثانية هو حلول الروح القدس على كرنيليوس وبيته كممثلين للأمم الذين يؤمنون بالمسيح وهذا ما يؤكده الرسول بطرس فى دفاعه أمام كنيسة أورشليم «فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا فى البداءة. فتذكرت كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمد بالماء أما أنتم فستعمدون بالروح القدس فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا. أقادر أن أمنع الله. فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين إذا أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة» (أعمال ١١:١٥-١٨). فى هاتين القصتين يرتبط قبول اليهود والأمم للمسيح ربا ومسيحاً ودخولهم فى دائرة عمله الفدائى بعبارة «تتعمدون بالروح القدس». ولم ترد فى العهد الجديد أى حادثة أخرى ترتبط بهذه العبارة سواء أكانت لأفراد أم لجماعات. كما أن الرسول بطرس عندما يربط الحادثتين معاً فى (أعمال ١١:١٧) فإنه لا يقصد أفراداً بل اليهود عامة والأمم عامة كجناحين للكنيسة المسيحية. وقد حدث هذا لكل جناح منهم مرة واحدة ولم يتكرر ذلك مرة أخرى. إنها حادثة تاريخية ولا حاجة لتكرارها لأن الباب قد انفتح ولم ولن يغلق مرة أخرى. كما حدث فى قصة السامره وأفسس بل كان الإنسكاب تلقائياً وذلك يرمز بأن المسيح نفسه هو الذي يعمد بالروح القدس.

من كل ما سبق نتأكد أن مفهوم «معمودية الروح القدس» كاختبار فردى يناله المؤمن بعد اختبار التجديد لا أساس له فى الكتاب المقدس الذى يشهد بكل قوة أنه لا توجد إلا معمودية واحدة (أفسس ٤:٥، غلاطية ٣:٢٧و٢٨). وهى المعمودية التى فيها نموت مع المسيح لنحيا معه قيامته فى جدة الحياة (رومية ٦:٣-٨).

أما الإعتراض المبنى على قول الرسول «لذلك أعرفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس». (١كورنثوس ١٢:٣). فهذا أمر يختلف عن التعميد بالروح القدس. أن الرسول فى هذه الآية يظهر صلة الروح القدس بالمعمودية والعشاء الربانى أى غرسناً فى جسد المسيح (الكنيسة) بالمعمودية، ثم تجدد شركتنا بالمسيح وتتعمق بواسطة العشاء الربانى. هذا يختلف إختلافاً واضحاً عن تعميد المسيح لليهود والأمم مرة واحدة وفتح باب الملكوت لهم وعلى هذا الأساس يمكنهم أن يأخذوا موهبة الروح القدس (أعمال ٢:٣٨).

الفصل الثالث

الملء بالروح القدس

* ما هو المفهوم الكتابى للملء بالروح القدس؟
* وهل هو اختبار مستقل عن علاقة المؤمن السابقة بالرب يسوع؟
* وهل هو امتياز لجماعة خاصة أم لكل شعب الرب؟
* وهل هو درجة أعلى روحياً ينالها المؤمن؟
* وهل له طريقة خاصة للحصول عليه؟

إذا كان الروح القدس هو شخص الله كما درسنا فى الصفحات السابقة، وأنه يسكن فى المؤمنين عند قبولهم شخص الرب يسوع فى حياتهم. إذ «يعمدون» بالروح القدس - روح المسيح - فينضمون ويغرسون فى جسده المبارك. إذا يكون الملء بالروح القدس هو الإمتلاء من الله الساكن فينا. وهو سيادة المسيح على حياة المؤمنين كسيد وملك فى حياة الكنيسة، وأن يكون هو متقدماً فى كل شئ.

فأحياناً يتصور البعض أن الملء بالروح القدس هو الإمتلاء «بشئ من

خارجنا » علينا أن نطلبه، وأن الإنسان «إناء» يصب فيه الروح القدس، وأن الملء «درجة» يصل إليها البعض دون البعض الآخر فى الجسد الواحد، وأنه «اختبار» يكاد يكون مستقلاً عن عمل الله السابق فى حياة الفرد أو الكنيسة، وبالتالى لابد له من «طقوس» خاصة للحصول عليه... إلى آخر هذه التداعيات التى إندفع إليها وفيها بعض الأفراد أو الجماعات أو القيادات.

الملء وتدفق النبع الداخلى

وإذا عدنا إلى البناء الفكرى الذى نسير فيه فى هذه الدراسة، وأن الروح القدس هو شخص الله الذى يسكن فى «داخلنا» الآن، يكون الملء بالروح القدس هو تدفق هذا النبع الداخلى ليشمل كل الحياة ويسيطر على كل جوانبها، فى إطار مشروع الفداء العظيم. فإذا كان الميلاد بالروح هو بدء وقبول الحياة - حياة المسيح - فينا، فالملء بالروح هو سريان هذه الحياة فينا باستمرار فتنطبع وتظهر صورة المسيح، صورة الله، فى حياتنا. وهنا نسلك فى الروح أو «فى المسيح» من خلال النمو والنضوج فى ثمر الروح فى حياة الطاعة والإيمان والقداسة، حياة المحبة. فالملء إذن هو قوة حياة الله فى حياتنا كل يوم التى تدفعنا وتشجعنا لنواصل رحلة الإيمان إلى كمالها فى إطار مشروع الله الواحد والكامل.

وهنا يكون الملء بالروح القدس هو الامتلاء بالمسيح الساكن فينا أو الإمتلاء فى المسيح أو بعبارة أخرى إمتلاك وسيادة المسيح على حياتنا.

الملء وعمل الله الكامل

كما أن الملء بالروح هو جزء أصيل من عمل الله الكامل فى المسيح لأجل خلاص الإنسان، هذا المشروع الكبير أو خطة الفداء المباركة التى تشمل كل حياة المؤمن والكنيسة من أولها إلى نهايتها فى المجد.

ولذلك يقول الرسول بولس للمؤمنين فى كولوسى «وأنتم مملوؤن فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان». (كولوسى ٢: ١٠). وفى ذات المعنى يقول الرسول للكنيسة فى أفسس: «الذى فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده.» (أفسس ١: ١٣و١٤) ثم يصلى من أجلهم فيقول «كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته.» (أفسس ١: ١٧-١٩).

إن المشكلة أن البعض يجزئ ويفرق ما جمعه الله فى المسيح فيفصلون الملء عن مراحل حياة الإيمان الأخرى السابقة واللاحقة فى حياة المؤمن. فعمل الله الكامل فى المسيح وحدة واحدة متكاملة من تجسد وموت وقيامة وصعود وحلول الروح القدس ومجئ المسيح ثانية، وإختبار الكنيسة لهذا العمل وحدة واحدة غير مجزأة أو ممزقة، وداخل هذه الوحدة الكاملة التى هى عبارة عن دائرة متكاملة تزداد عمقاً فى حياتنا كل يوم وليست خطا مستقيماً مجزأ، نختبر بالروح القدس غنى التنوع والتدرج فى مراحل النمو المختلفة.

وإن كان الرب يسوع هو المخلص وهو السيد فينبغي أن ندرك أننا عندما تقبله في حياتنا فنحن تقبله كما هو مخلصاً وسيداً معاً. وهكذا أنمو في النضوج فيه كل يوم لأختبر هذه الحقيقة، حقيقة سيادته على حياتنا والامتلاء به بالروح القدس.

الملء وغنى المسيح

كما يتصور البعض أن الملء بالروح يمد المؤمن بإختبارات أغنى من إختبار مجئ المسيح إلينا وسكناه فينا ومن مجيئنا إلى المسيح والحياة فيه أي إختبارات أغنى من التي في المسيح. لكن الكلمة المقدسة تعلمنا أن الروح القدس ينير أذهاننا لنكتشف ونختبر كل البركات والوعود المباركة التي لنا في المسيح وفي غناه الذي لا يستقصي. وهذا هو نفس ما تعرضت له كنيسة كولوسي وهدد حياتها ولذلك يعلمهم الرسول بقوة عن هذا السر المجيد وعن غنى مجده، هذا السر الذي هو «المسيح فيكم رجاء المجد» فيقول «الذي أراد الله أن يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع» (كولوسي ١ :٢٧، ٢٨). ويعلم الرسول أن المسيح فينا هو كل شئ وهو أعظم شئ ولا يوجد ما هو أعظم منه لنتطلع إليه والروح القدس في ملئه يشهد للمسيح في غناه في الكلمة المقدسة وفي حياة المؤمنين حتى يصبح كل واحد في الكنيسة» كاملاً أي «ناضجاً» في المسيح يسوع. ولذلك يصلي الرسول

لأجل المؤمنين فى أفسس قائلاً «لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله». (أفسس ٣:١٦-١٩).

الملء كطريق طبيعى وحالة مستمرة

بناء على ما سبق يكون الملء بالروح طريقاً طبيعياً، لكل مؤمن فى كنيسة الرب يسوع وليس ترفا روحياً أو استحساناً بشرياً، ولذلك يأتى الفعل فى أفسس للجميع، لكل الكنيسة، وفى صيغة الأمر «ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أفسس ٥:١٨). وهو فعل مضارع مستمر يفيد بأن الملء بالروح ليس حالة جامدة، بل حالة مستمرة نامية متكررة فى كل مراحل النمو الروحى. ويتأكد هذا فى سفر الأعمال إذ يتكرر الملء فى حياة الفرد أو الجماعة كما حدث مع بطرس (أعمال ٢:٤،٤:٨،٤:٣١) وفى كل مرة كان يشهد للمسيح بقوة، أو مع الرسول بولس وعليم الساحر (أعمال ١٣:٩). للعقاب والدينونة، أو بخدمة هامة فى الكنيسة كالشموسية (أعمال ٦:٥،٧:٥٥)، وكذلك مع برنابا (أعمال ١١:٢٤). فالروح القدس هو قوة فى حياة الكنيسة وقيادة لها للسلوك والخدمة ولمواجهة المهمات الكبرى.

الطريق إلى الملء

هنا يكون الطريق إلى الملء هو الاقتراب الدائم والمستمر للرب يسوع، والتكريس الدائم له. وقد أعلن الرب هذا بنفسه فى يوحنا ٧:٣٧-٣٩ عندما وقف في اليوم الأخير العظيم من عيد المظال ونادى قائلاً «أن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب، من أمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى». ثم يضيف يوحنا البشير معلقا وشارحاً «قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد». إذن الطريق إلى اختبار الملء الفياض الدافق هو أن نقبل إلى يسوع ونشرب بالإيمان به، فالإيمان به يعنى أن تقبله وتقبل إليه، والامتلاء به وبنبعه الفياض وبأنهار مائه الحي معناه أن تقبل إليه وتشرب منه وتخضع له باستمرار. فهذه الافعال فى الأصل فى زمن المضارع وهى أن نقبل إلى يسوع باستمرار، وأن نجوع ونعطش إليه دائماً وبالتالى نشرب وننهل منه على الدوام. إذن الطريق هو الشركة الدائمة العميقة النامية مع الرب يسوع، والتكريس المستمر بالإيمان له وفيه، وحياة التوبة والطاعة كل الطريق. وهكذا إذ نشرب نتحول إلى نبع مياه، وكما يقول وليم تميل «حيثما وجد الروح فإنه يتدفق دائماً، وحيث لا يتدفق فهو ليس هناك.»

لا تحزنوا الروح

ليس الطريق إلى الملء إذن أن نقف ونطلب كأننا ننتظر شيئاً من خارجنا،

ولا عن طريق (طقوس) خاصة، ولا عن طريق أناس أو أشخاص معينين، بل بالاقتراب الدائم إلى المسيح والشرب الدائم من نبعه، والانفتاح المستمر على روحه الساكن فينا.

فالمشكلة ليست في الرب يسوع حتى نصارع معه ليملأنا، لأن الملء هو مشيئته الصالحة لكل أبنائه، بل المشكلة فينا حين نبتعد عنه ولا ننفتح على روحه ولا نحيا في الشركة معه. ولذلك نجد أن الفعل «امتلئوا» جاء في صيغة المبني للمجهول، ويمكن ترجمته «دعوا الروح يملأكم».

إننا يمكن أن نعطل عمل الروح في حياتنا، وأن نقاومه ونحزنه ونطفأه بحياة الخطية والسلوك الجسدي، والحياة غير المنضبطة وغير المدققة.

وعلى هذا تكون دلالة الملء بالروح القدس دلالة أخلاقية سلوكية ودلالة عقلية فكرية. ونستطيع أن نرى ذلك بوضوح من خلال المقارنة الشعرية التي قصدها الرسول عندما قال «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح». فكلمة «خلاعة» تصف حرفيا الحالة التي يفقد فيها الشخص القدرة على ضبط النفس والتحكم فيها (تيطس ١:٦،١ بط ٤:٤) وبالتالي يسلك السلوك غير المقدس، أما الملء بالروح القدس فهو الذي من بين ثماره «التعفف» (غلاطية ٥:٢٣) أي ضبط النفس، الذي يظهر في العلاقة الواعية المنضبطة الصحيحة مع الله ومع الآخرين، وبالتالي في أسلوب الحياة الناضج في ثمر الروح. وهنا يكون «الملء بالروح» أو كما تترجم «الملء في الروح» هو الجو الذي نحيا فيه دائماً في نمو متصل. وإذا عدنا إلى صلاة الرسول في أفسس ١:١٧-١٩ لرأينا مراحل هذا النمو المتصل وهي: الإستنارة، والمعرفة، والإيمان، والاختبار. والعلاقة بين هذه

المراحل المتصلة الأطراف والتقدم هى أننا بالاستنارة نعرف وبالإيمان نستمتع بما نعرف أى نختبر ما نعرف. فاختبارات، الإيمان تتوقف إلى حد بعيد على إدراك أذهاننا. وعليه فكلما ازدادت معرفتنا، ازدادت سعتنا الروحية وازدادات مسئوليتنا نحو نصيبنا وميراثنا الغنى فى المسيح يسوع ربنا.

الفصل الرابع

مواهب الروح القدس

على ضوء الدراسة السابقة أصبح من الضرورى أن أقدم بعض الجوانب الهامة التى تساعدنا فى فهم موضوع المواهب الروحية التى يكثر الحديث عنها بين الحين والآخر.

المواهب والقوائم

كل المواهب والعطايا والخدم والأعمال التى أتت فى القوائم المختلفة فى العهد الجديد يصفها الرسول بأنها عطايا ومواهب من الرب غير مفرق بينها، وأنها جميعاً، بما فيها الخدمات الاجتماعية و التدبيرية (١ كورنثوس ١٢:٢٨، رومية ١٢:٨) والتعليمية والتنظيمية (أفسس٤:١١) مواهب روحية لأن طبيعتها ومصدرها من الروح القدس. بل ربما نرى أن المواهب غير العادية هى أقل المواهب نفعا للكنيسة. فالمواهب العادية تمارس بلا كبرياء ولا أنانية بل هى مشاركة وإحساس بالآخرين فى كل شئ (١ كورنثوس ١٢:١٢-٣٠) كما أن هذه المواهب فى كل القوائم مجرد «نماذج» وليست «كل» المواهب التى يعطيها الروح القدس لكنيسته.

المواهب والكنيسة

إن كل المواهب أعطيت لبنيان جسد المسيح، فقد جاء المسيح ليؤسس كنيسته لا ليدعو أفراداً فقط. وعندما يدعوهم فإنما لينضموا إلى جسده كأعضاء فيه. والموهبة إذ تعطى لعضو، فهى لا تعطى له لشخصه أو فى ذاته، بل تعطى له لأنه عضو فى جسد المسيح. ولذلك عليه أن يعمل لأجل الكنيسة. وهذا الاتجاه الكتابى يجب أن يسود على كل موهبة، فلا تكون المواهب للافتخار والتعالي والاستعراض، ولا يكون التركيز على ما يدعى الإنسان أنه يعتقد به، بل بالثمر الذى يختبره فى حياته ويختبره الآخرون معه، وأن يتناسق هذا الاختبار مع إختبارات غيره فى الجسد الواحد، أى فى حياة الكنيسة، لبنيانها فى المحبة، وتحقيق وحدتها ورسالتها فى العالم. كم نسينا - كإنجيليين - هذا المفهوم الكتابى للكنيسة، فى تنبيرنا على الفردية، للدرجة التى فيها نجعل العضو أهم من الكنيسة؟!. ألا نرى ذلك عملياً فى ممارسات حياتنا وخدمتنا الكنسية؟!!.

المواهب والامتحان

يجب أن نمتحن المواهب، خاصة الغير طبيعية. ولقد وضع دافيد وطسون فى كتابه I believe in the church بعض الأسئلة التى تصلح نموذجاً لهذا الامتحان كالآتى:

- هل يسود الرب يسوع على حياة هذا الشخص؟

- هل هذه المواهب، وكيفية ممارستها، تتفق مع التعليم الكتابى؟

- هل اسلوب الحياة اليومى لهذا الشخص هو حياة النقاوة والقداسة؟

- هل يخضع لقادة الكنيسة؟

- هل هذه المواهب لمجد الله؟

- هل هذه المواهب لنفع وبناء وتطوير الكنيسة؟

- هل العامل المسيطر على هذه المواهب هو المحبة التى هى الطريق الأفضل والعلامة الرئيسية لروح الله؟

والرسول يوحنا فى وقت الضلالات الكثيرة التى ظهرت فى الكنيسة نادى بهذا الامتحان «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم». (١يوحنا ٤:١). هذا الإمتحان يبنى على ثلاثة أسس:

- الأساس الأول هو المسحة «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ» (١ يوحنا ٢: ٢٠).

- والأساس الثانى هو الإيمان الحقيقى (أى العقيدة المسيحية الصحيحة) «ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان» (رومية ١٢:٦).

- والأساس الثالث هو السلوك المسيحى الحقيقى أو الربط التام بين المواهب وثمر الروح وأهمها المحبة «أيها الأحباء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغى لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً. ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التى

لله فينا الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه. إن قال أحد أننى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره. ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً». (١يوحنا ٤: ١١و١٦و. ٢و٢١) فالمحبة هى الطريق الأفضل الذى بدونه تصبح المواهب مصدراً للضرر والكبرياء وعبادة الذات. والروح القدس الذى يعمل الآن فى الكنيسة قد أعطاها الاستنارة والسلطان أن تميز بين الغث والثمين.

المواهب والآيات

يجب أن نفرق بين المواهب الغير عادية كالتكلم بألسنة، ومواهب الشفاء... إلخ - التى لم ترد إلا فى كورنثوس فقط كحالة خاصة - وبين الآيات الأولى التى عملها المسيح والرسل لتثبيت الشهادة ووضع أساس الكنيسة. فالآيات التى عملها المسيح لا تتكرر لأن الإعلان الإلهى قد كمل ولكى ندرك هذا الفرق علينا أن ندرس طريقة وضع البشير متى لتعاليم المسيح، فلقد وضعها فى خمس وحدات كاملة هى:

١ - الموعظة على الجبل ص ٥ - ٧

٢ - خطاب الإرسالية للتلاميذ ص ١٠

٣ - أمثال الملكوت ص ١٢

٤ - الطابع السلوكى للكنيسة ص ١٨

٥ - الخطاب الأخير ص ٢٣ - ٢٥

ونلاحظ أن كل وحدة يسبقها مجموعة من الأعمال المعجزية، كجزء أصيل منها. فمثلاً الموعظة على الجبل تسبقها فى نهاية الأصحاح الرابع مجموعة من الأعمال المعجزية، وخطاب الإرسالية للتلاميذ فى متى ١٠ تسبقه مجموعة من الأعمال المعجزية من أصحاح ٨ - ١:١٠، وهنا يريد البشير متى أن يعلمنا أن أعمال يسوع وتعاليمه يجب أن تؤخذ معا كوحدة واحدة، كما أن أعماله يجب أن تفهم فى ضوء تعاليمه التى هى الوجه الآخر لأعماله. وإذا أدركنا ذلك سوف نفهم من تعاليم يسوع أن أعماله وآيات الرسل هى علامات دخول الملكوت، وتثبيت الشهادة، ووضع أساس الكنيسة وهذا كله قد تم. وبالتالى فالآيات الخاصة بهذا الهدف لا تتكرر.

المواهب وحاجة العصر

لا يمكن فصل المواهب الروحية وعزلها فى الكنيسة الأولى عن الظروف التى استدعت وجودها وعن حاجة الناس إليها لتؤدى رسالة الله فى حياة الكنيسة وفى العالم وقتئذ. فنحن لا يمكن أن نفصل الكنيسة بمواهبها عن المجتمع الذى نعيش فيه وعن ظروفه ومشاكله ومعاناته و إحتياجاته، فالله يعمل بروحه القدوس من خلال الكنيسة بكل الطاقات والمواهب التى يعطيها له لنمو الكنيسة من ناحية، ولتأدية رسالتها فى العالم وإشباع إحتياجات المجتمع بتحدياته الخاصة من ناحية أخرى.

إذن المواهب مرتبطة بحاجة الكنيسة وحاجة الناس فى كل عصر، وإلا

تجمدت المواهب الروحية في قالب معين مستقل عن حاجة الناس وعن حركة عمل روح الله، فتصبح هدفاً في حد ذاتها، أو تنحرف عن الهدف الذى قصده الله بها. والروح الذى يعمل فى الكنيسة دائماً يستطيع أن يعطى اليوم المواهب الروحية التى تحتاج إليها الكنيسة فى حياتها ورسالتها. قد يعطى لها بعض المواهب التى كانت للكنيسة الأولى، قد يعطى لها مواهب روحية أخرى جديدة تماماً بحسب «الحاجة» وبحسب «المنفعة» ويؤكد الرسول هذا المبدأ عندما يقول: «وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة» (١كورنثوس ١٢:٦و٧).

إن روح الله يتميز بالحرية والقدرة المستمرة على الخلق و الإبداع، كما يتميز بالغنى فى العطاء والسخاء فى التوزيع. ولذلك لا يمكن أن نحد أو نقيد روح الله فى الماضى فقط، بل أن الله يعمل ويتحرك بروحه بقوة فى إختبارات الحاضر وفى أحلام ورؤى وطموحات وآمال وأشواق المستقبل. والمواهب الروحية التى احتاجت إليها الكنيسة الأولى والتى رأينا نموذجاً منها فى القوائم المذكورة فى الرسائل ربما كانت - فى رأى بعض الدارسين - أكبر وأوسع من هذه النماذج. وهى جميعاً أعطيت لحاجة الكنيسة كحياة ورسالة. لقد أعطاهم كلام حكمة وعلم فى عالم تاق إلى الحكمة والعلم.. أعطاهم موهبة الإيمان فى عالم سادت فيه الشكوك.. أعطاهم عمل القوات فى عالم كان ينبهر بالقوة.. أعطاهم مواهب الشفاء فى عالم قد هدته الأمراض والأوجاع، ولم يكن قد قطع شوطاً كافياً فى اكتشاف وسائل التشخيص والعلاج.. أعطاهم مواهب التكلم بألسنة فى عالم قل فيه

التفاهم، وظهر ذلك فى يوم الخمسين... وحتى عندما استولت مشاعر السعادة والفرح على عقول البعض فنطقوا بالروح بلغات غير مفهومة إستطاع بعض المؤمنين أن يترجموا هذه المشاعر إلى معان ورسائل.. ما معنى هذا كله؟ معناه أن الله حقق ببساطة الإنجيل لهؤلاء الناس البسطاء ما عجز عنه حكماء عصرهم. ليؤكد للعالم «أن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس» (١ كورنثوس ١:٢٥). أما الآن فنحن نعيش فى عصر مختلف، فى ثورة علمية وتكنولوجية هائلة شملت كل نواحى الحياة. وقد تحولت المعجزات إلى الحياة والسلوك الإنسانى المسيحى الذى أصبح بحق المعجزة الكبرى الآن.

والله بروحه القدوس الحر المتحرك الغنى العامل دائماً يعطى لكنيسة اليوم المواهب الروحية التى تحتاج إليها والتى تتفاعل مع حياتها ورسالتها.

ويوسع جون ستوت آفاقنا أكثر عندما يقول : «ألم نعلم من واقع التاريخ والخبرة أن هناك مواهب عديدة وهبها الروح القدس للأفراد لم تذكرها القوائم الكتابية؟ أو لم تكن قدرة تشارلس وسلى على كتابة الترانيم تعد موهبة Charismaكموهبة التبشير التى كانت لأخيه جون؟ وإلا فماذا نقول فى المرنمين، وكتّاب الشعر المسيحى، وعديد من الرجال والنساء الذين لا يمكن أن أجد تعبيراً آخر أطلقه عليهم، والذين كانت لهم مواهب روحية بارزة فى الشعر المسيحى، والتأليف والموسيقى، وفى مجال الإذاعة والتليفزيون؟ ».

بل ما أروع الكلمات التى قالها القس الدكتور فايز فارس فى نفس المعنى عندما قال: لماذا لا تنفتح قلوبنا لنرى آفاقاً لعمل روح الله فى مجالات أعمال المحبة التى هى أوسع من بعض المواهب الخاصة التى يفتخر

بها البعض فتؤدى بسبب الضعفات الإنسانية إلى مزيد من المشاحنات والإنقسامات؟. فعلى سبيل المثال:

- لماذا لا تنفتح عيوننا لنرى روح الله يعمل فى مذاهب الكنيسة وطوائفها ليقودها إلى الوحدة والتعاون والتفاهم معاً؟ ويعطى لبعض قادة الكنيسة مواهب خاصة لتحطيم الحواجز والفوارق بين أبناء الإيمان الواحد؟

- لماذا لا نرى مواهب الروح القدس وفاعليته فى المجمع الفاتيكانى الثانى الذى فتح قلب الكنيسة الكاثوليكية للتفاهم مع الكنائس الأخرى بنور جديد؟

- لماذا لا نرى مواهب الروح القدس فى قيادات الحركة المسكونية، المخلصين للوحدة والفاهمين لأبعادها من الأرثوذكس والإنجيليين؟

أليست هذه حاجة عصرنا الملحة؟.

- إننا نستطيع أن نرى مواهب الروح القدس تمتلك قلوب وحياة من فتح الرب قلوبهم ليخدموا فى الميادين الحيوية الجديدة، فى السياسة والإقتصاد والعمل الاجتماعى، ليقودوا حركات التحرير من الظلم والقهر بمختلف أنواعه ومظاهره... وأنتم تدركون الآثار الفظيعة التى تنتج عن كبت الحريات وتطويق الرسالات.

- إننا نستطيع أن نرى مواهب الروح القدس فى أولئك الذين قادوا حركات مدفوعة بالمحبة المسيحية لخدمة الإنسان فى المجتمع وتنمية شخصيات البشر ومواردهم الروحية والفكرية والإقتصادية، فقدموا صورة مشرفة للمسيحية التى تهتم بالإنسان كإنسان.

- في الذين يستخدمون وسائل الإعلام الحديثة المتطورة لشرح رسالة المسيح.

- فى من يتحدثون فى الإذاعات المختلفة.

- فى من يقودون فرق الترنيم والموسيقى.

- فى الكتاب والأدباء ليكتبوا مسرحيات ذات مضمون من القيم والأخلاق المسيحية وفى الذين يقومون بتمثيل هذه المسرحيات بأعلى مستويات الإجادة، ويسجلونها بالفيديو لتدخل إلى البيوت ولتأخذ مكان البرامج الهابطة.

هذه هى حاجات العصر... وإن روح الله لقادر أن يواجه حاجات العصر، إذا نحن تفتحنا لقبول عمله الخلاق، وتجاوبنا مع نداء التطور، ولم نتقوقع فى التاريخ الماضى فحسب.. إن إلهنا سيد التاريخ كله - الماضى والحاضر والمستقبل - فليتنا نتحرر من جمود فكرنا لأن إلهنا متحرك فى كل التاريخ. لتتفتح قلوبنا وعيوننا وعقولنا فيتحقق لنا وعد الله القديم القائل «وتنفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق.. عوضاً عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك. أجعلك فخراً أبدياً، فرح دور فدور» (إشعياء ٦٠: ١١و١٥). ولنستمع فى الختام إلى قول الرسول بطرس: «كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله فى كل شئ بيسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين . آمين» (١بطرس ٤: ١٠و١١).

الفصل الخامس

عمل الروح القدس

عندما نتكلم عن الروح القدس والفرد نريد أن نشير إلى حقيقة هامة هى أن الروح القدس فى حياة الفرد يهتم أيضاً بالجماعة، يعنى يهتم بالكنيسة ويعمل من خلال الجماعة. لكن عمله من خلال الجماعة لا يعنى أنه لا يعمل من خلال الفرد فالجماعة هى عبارة عن مجموعة الأفراد. والروح القدس يحمى الكنيسة من خطرين:

الجماعية والفردية

١ - خطر الجماعية Collectivismأى المجموعة معاً دون إهتمام وبناء لكل فرد على حدة، الاهتمام بالجماعة فقط أو التكتل الجماعى. لكن الروح القدس يتكلم عن الجماعة وليس عن الجماعية أو الشللية ويقصد الإهتمام ببناء الجماعة ككل والإهتمام ببناء كل فرد على حدة.

٢ - خطر الفردية Individualismأى أن كل فرد فى الجماعة يكون

مستقلا بنفسه، غير منسجم مع الجسد أو متوافق مع الجماعة ولا يبدى أى خضوع لروح الله فى الجماعة. وبالتالى تتحول الجماعة والجسد إلى أشلاء متفرقة متنافرة ومتناحرة. طبعاً الجماعة الواعية لدورها تبنى شخصيات أفرادها وتدفعهم إلى النضوج ليكونوا قادرين على الإختيار والقرار والتمييز بين الخطأ والصواب، وتحرص على تميز وتنوع أفرادها فى مواهبهم وشخصياتهم، ولكن كل هذا فى إطار وحدة الجسد الواحد والكيان الواحد والرسالة الفعالة.

والروح القدس يهتم بالجماعة ككل وبالفرد داخل الجماعة، حتى لا يضيع فى الزحام، فلا يستقل الفرد عن الجماعة لأن الفرد يجد ملئه ونموه فى الجماعة، ولو انفصل وانعزل وحده يضعف وينطفئ مهما كانت قوته وسط الجماعة.

إذا ما هو عمل الروح القدس؟

التحقيق والتطبيق

إن عمل الروح هو تحقيق لرسالة الرب يسوع التى أتى لأجلها فهو أتى ومات وقام وصعد من أجل رسالة، والرسالة هى إقامة ملكوت الله فى العالم، خلق الخليقة الجديدة فى الأرض، وإقامة مجتمع جديد بالروح القدس. الروح القدس يساعد على تحقيق هذا العمل. يسوع بدأ الرسالة وهو يريد توصيل الرسالة للأرض كلها ويقوم بتوصيلها الروح القدس من خلال المؤمنين والخدام والرسل... فالروح من خلال المتكلمين وبواسطة السامعين يحقق

ويطبق رسالة الرب يسوع التى جاء لأجلها. فالروح القدس شريك رئيسى فى تحقيق رسالة الرب يسوع فى حياة الفرد وحياة الكنيسة. وسوف ندرس عمل الروح فى حياة الفرد بشئ من التوسع وعمل الروح القدس فى حياة الكنيسة بقدر من الإيجاز، ونختم بلمحة سريعة عن عمله فى العالم.

أولاً : عمل الروح القدس فى حياة الفرد

إن أعمال الروح القدس كلها فى حياة الفرد مثل الولادة الثانية، التقديس، التبرير، التبنى، الشفاعة، كل هذه العمليات التى تحدث فى حياة المؤمن كانت أساساً هدف المسيح، ينشئها فى حياة المؤمن بالروح القدس. هذه العمليات كلها ليست عمليات مستقلة لكنها عمليات مترابطة ومتداخلة يحدثها الروح القدس أحياناً معاً، لكنها تحتاج فى نفس الوقت إلى النمو المستمر والتدرج المستمر.

فمثلاً التبرير والتقديس، التبرير هو غفران الرب لخطايا الإنسان وبداية العلاقة مع الرب كمخلص وسيد من خلال بر المسيح الذى قبله بالإيمان. والتقديس معناه أن الشخص يستمر فى حياة القداسة اليومية. بعض الناس يظنون أن التقديس يبدأ بعد التبرير بمعنى أن ينتهى التبرير ثم يبدأ التقديس. صحيح أنه بدون التبرير لا يمكن أن ينال الشخص التقديس ولكن لا ينتهى عمل شئ ثم يبدأ عمل الآخر. الكل يعمله الروح الواحد فى نفس الوقت، لكنها عملية فيها عنصر النمو والتدرج والتقدم. التبرير هو أن تغفر خطايا الشخص السابقة وفى ذات الوقت تبدأ عملية النمو والتقديس،

ويستمر فيها. فالعمليات الروحية التي يجريها الروح القدس في حياة المؤمن ليست مستقلة لكنها نامية متقدمة فهي ليست عدة إختبارات أو مراحل ولكنها عمل متكامل يحتاج إلى نمو وتقدم وتطور بإستمرار. هذه العمليات أو الأعمال هي :

أعمال الروح القدس [1]

١ - التجديد :

باليونانية Anakainosis والفعل «يجدد» يأتي في اليونانية بمعنيين: الأول يحدث مرة واحدة ولا يتكرر، والثاني يتكرر بإستمرار. والتجديد بالمعنى الأول هو المذكور في (تيطس ٣:٤و٥) ولكنت حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". تجديد الروح القدس هنا يقصد به بدأ الحياة الجديدة وهذا يحدث مرة واحدة في بداية العلاقة مع الله، وله وجهان: الأول وجه علوي أي موقف الإنسان في نظر الله، والوجه الثاني إختباري داخل حياة المؤمن.

الوجه الأول نسميه التبرير، وهو موقف الإنسان من الله. لقد أصبح

---

(١) مزيد من التفاصيل لمن يرغب في هذا المجال في كتاب «الروح القدس» للدكتور القس فهيم عزيز ص- ١٥٣ - ١٧٥ وكتاب "I believe in the Holy Spirit" لمايكل جرين ص- (٩٠ - ١٢٠).

الإنسان مبرراً فى نظر الله. كان هو قبلا الإنسان الخاطئ، لكن عندما فتح قلبّه للرب بالإيمان وقبل نعمة المسيح أصبح هذا الإنسان باراً.

أما الوجه الثانى فيحدث داخل الإنسان لأن الروح القدس يفجر حياة جديدة فيه. هذا العمل الذى يشمل الوجهين يحتوى أيضاً على خطوتين:

الأولى هى : إعطاء حياة للميت، والخطوة الثانية هى ضم هذا الإنسان إلى الجسد الحى فيضمه إلى الكنيسة وكما هو مكتوب «وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أعمال ٢:٤٧).

فالروح القدس يضم الجسد الميت الذى نال حياة إلى جسد حى لكى يستمد إستمرار الحياة وينمو، لذلك لابد أن ينضم المؤمن للجسد، للكنيسة. ودور أى شخص قبل الجانب الأول فى الحياة الجديدة وهو إعطاء الحياة للميت عليه أن ينضم للكنيسة وللمجتمع الجديد.

لكن التجديد بالمعنى الثانى وهو التجديد الذى يتكرر بإستمرار جاء فى (رومية ١٢:٢) «... بتجديد اذهانكم» هو عملية مستمرة، فالتجديد الذى يبدأ مرة واحدة يتصل بالتجديد الذى نسميه التجديد المستمر، فالتجديد ليس عملية متقطعة، تبدأ وتنتهى ولكنه عمليه متصلة، تستمر بإستمرار فى حياة الشخص المؤمن وتميز سلوكه كعضو فى الخليقة الجديدة. والسؤال الطبيعى: كيف؟ كيف يكون التجديد عملية مستمرة؟

هناك أربع عمليات مستمرة يعملها الروح القدس داخل إطار التجديد:

- التحرر من الخطية والموت : (رومية ٧:٧-٢٤، رومية ٨:٢).

هذا الجانب مستمر، فيوم قبولى للرب يسوع أعطانى غفراناً لخطاياى،

لكن الخطية موجودة فى حياة المؤمن لأنه مازال فى الجسد، والإنسان العتيق مازال نشطا فيه، والعالم حوله بكل ضغوطه. إذاً الحياة الجديدة التى يعطيها الروح القدس للمؤمن يعطيها باستمرار قوة للتحرر من الخطية والانتصار عليها وبالتالى قوة للتحرر من الموت.

- هذه القوة نسميها فى (أفسس ٣:١٦) قوة فى الإنسان الباطن، فالروح القدس الساكن داخلى يفجر فى قوة للإنتصار على الخطية والغلبة المستمرة والتجديد الدائم.

- شهادة الروح القدس فينا: (رومية ٨:١٦، غلاطية ٤:٦) فى رومية ٨ يقول الرسول بولس أن الروح يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. كلمة يشهد تعنى« يؤكد باستمرار» سواء بالعمل الداخلى أو بالعلاقة بالرب من خلال الكلمة، أو فى أحداث الحياة اليومية. فيزيل أى شكوك فى علاقتنا بالله.

- الإثمار : (غلاطية ٥:٢٢-٢٣) «أما ثمر الروح فهو محبة، فرح سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعطف» والروح القدس يعطينا كل يوم أن نختبر هذه الثمار. وهى جانب غنى يمارسه الروح القدس من خلال التجديد المستمر.

٢ - الفهم الروحى :

أى فتح الذهن (الإستنارة) مثل القول «إكشف عن عيوننا فنرى عجائب من شريعتك» أى إفتح عيون أذهاننا. والفهم الروحى يؤكد ثلاثة أشياء يقوم بها الروح القدس:

* أنه باستمرار يعطى فهما لمعنى المسيح فى حياة المؤمن : وهذا ما

يسميه الرسول بولس فى (أفسس ٣:٢-١٢) سر المسيح، وسر الإنجيل فى (أفسس ٦:١٩). الروح القدس يوضح باستمرار ماذا يعنى المسيح بالنسبة لنا.

* يكشف للمؤمن أسرار الله وفكره فى غنى التعليم : (١ كورنثوس ٢:١١-١٣) «لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله. التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل ما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات.»

* الإرشاد والفاعلية فى العبادة: (يوحنا ٤:٢٣-٢٤) نحن نعلم أن جوانب العبادة الأخرى بجانب الكلمة وتفسيرها هى الصلاة والترنيم. والصلاة عمل من أعمال الروح القدس فنحن نصلى فى الروح (أفسس ٦:١٨، رومية ٨:٢٦و٢٧) يسوع يعلمنا كيف نصلى فى (لوقا ١١:١) والترنيم تمجيد للرب يجريه روح الرب (أفسس ٥:١٨-٢٠) ويعطى من خلال الترنيم الفرح (لوقا ١:٤٦). والإثنان سواء الصلاة أو الترنيم تقوم بهما بالروح وبالذهن. فالكتاب يقول أن الصلاة يجب أن تكون بالروح والذهن والترنيم كذلك. (١ كو ١٤:١٤و١٥و٣٢و٣٣). فهذه الشواهد تدل على أن عمل الروح يتضمن عمل الذهن، فالذهن عطية من الله وروح الله يجب أن يستخدمه. كما أن الروح القدس يستخدم الإنسان كله بمشاعره بإرادته بذهنه لتمجيد الرب.

٣ - الإرسالية:

الروح القدس يرسل الإنسان المؤمن لغيره ويقدم الدعوة ،ويعطيه الرسالة التى يتكلم بها. وهو يدعو الفرد إلى عمل محدد يتأكد من خلال دعوة الجماعة. ففى (أعمال٩) دعا الروح القدس الرسول بولس مباشرة وهو فى طريقه إلى دمشق، وفى (أعمال ١٣) دعا الرسول بولس من خلال الكنيسة.

٤ - القيامة :

القيامة التى أعنيها هى المذكورة فى (رومية ٨: ١١، ٨: ٢٢و٢٣و ١ كو ١٥: ٥١-٥٥،١بط ١: ٣-٥). ففى (رومية ٨: ١١) مثلاً يقول : «أن كان روح الذى قام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم» فالذى يحيي أجسادنا المائتة ويعطى لنا القيامة من موت الخطية هو الروح القدس. لكن باقى الشواهد تعنى تمجيد الأجساد بمعنى أن أجسادنا الترابية ستصبح أجسادا نورانية. والرسول بولس يقول «يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد»، فالجسد يتحلل ولكن الرب يعطى جسداً خالداً لا يبلى.

٥ - الإرشاد فى الحياة اليومية :

الروح القدس يرشد المؤمن فى حياته اليومية. ليس بأسلوب ما يردده البعض أن الله أعطاهم «إعلانات» جديدة أو «رسائل» جديدة، لأننا نؤمن أن الإعلان الصحيح والأمين قد تم فى كلمة الله الحية المكتوبة، ولأن كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب

(التدريب) الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً (ناضجاً) متأهباً لكل عمل صالح» (٢ تيمو ٣:١٦و١٧). لكن الكتاب المقدس يقدم لنا المبادئ العامة، أما تفصيلات حياتنا اليومية وقراراتنا الهامة فيرشدنا إليها الروح القدس على ضوء المكتوب من ناحية ومن خلال عملية التدريب على التفكير الصحيح من الناحية الأخرى. فإن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي» (يوحنا ٧:١٧).

هذه هى المبادئ الكتابية العامة، أما التفكير العقلى السديد واتخاذ القرارات، فالكتاب يدفع إليها بعمق كذهن مسيحى مستنير ممتلئ بفكر المسيح، قادر على الاختيار والقرار فى الحياة اليومية فى نضوج ونمو وطاعة للرب. فلقد خلق الله الإنسان على صورته وأعطاه عقلاً مفكراً مسئولاً حراً قادراً أن يفكر ويبدع ويقرر، ولذلك يقول الكتاب «أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها انصحك عينى عليك لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم بلجام وزمام زينته يكم لئلا يدنو إليك» (مزمور ٣٢:٨و٩) و«قلب الإنسان يفكر فى طريقه والرب يهدى خطوته» (أمثال ١٦:٩) وهكذا يرشدنا الروح القدس فى حياتنا اليومية على ضوء التعليم، والتفكير الصحيح، والصلاة الواعية، والفهم الروحى المستنير، سواء فى البيت أو العمل أو الخدمة فى الكنيسة، أو المشاركة فى المجتمع فى قضايا العدالة والسلام، أو فى مساعدة المحتاجين والمتألمين.. إلخ، سواء لأفراد أو من خلال عملنا معاً كجماعات.

ثانياً : عمل الروح القدس فى حياة الكنيسة

إن كانت الأناجيل هى السجل الذى يتحدث عن العلاقة السامية بين الروح القدس والرب يسوع، فسفر الأعمال هو السجل الذى يعلن علاقة الروح القدس بالكنيسة، حتي أن بعض العلماء أطلق على سفر الأعمال إسم «سفر أعمال الروح القدس».

ولقد قدم د. القس فهيم عزيز دراسة مستفيضة عن هذا الإتجاه فى كتابه «الروح القدس» [١]، لكننا نقدم فقط الإطار العام لدور الروح القدس فى حياة الكنيسة من خلال الأقسام الرئيسية لسفر الأعمال:

القسم الأول :

يبدأ من (١:١-٦:٧) وأهم حدث فيه وجود الكنيسة وبدء بنائها وشهادتها، فلقد كان يوم الخمسين بمثابة يوم الميلاد للكنيسة، لما له من دور وأثر كبيرين فى تكوين الكنيسة المسيحية، فالتلاميذ كأفراد تحولوا إلى جماعة لم ير العالم مثيلاً لها، إذ خلق إحساساً عندهم بأنهم كنيسة تحس بذاتها وهويتها ورسالتها ككنيسة مرسلة شاهدة. وأهم شخصيات هذا القسم هما بطرس ويوحنا.

---

(١) د. القس فهيم عزيز، الروح القدس، صفحات ٩٥ - ١٤٧

القسم الثانى :

(٦:٨-٩:٣١) وأهم مظهر للروح القدس فيه هو إنسكابه على السامرة، والإرتباط الدائم بين عمل الروح القدس فى بناء الكنيسة، وعمله فى إرساليتها وشهادتها، فبناء الكنيسة وإمتدادها وتطويرها فى كيانها يتوقف على شهادتها ودورها وإرساليتها، وأهم شخصيات هذا القسم إسطفانوس وفيلبس وشاول الطرسوسى، ولقد تعامل الروح القدس معهم ليس على أساس فردى ولكن فى إطار الكنيسة ولأجلها.

القسم الثالث :

(٩:٣٢-١٢:٢٤) وأهم حدث فيه هو حلول الروح القدس على الأمم فى بيت كرنيليوس. وهنا نرى الإرتباط فى الهدف بين يوم الخمسين وبين حادثة قيصرية هذه فى بيت كرنيليوس، فإذا كان يوم الخمسين هو الذى فتح فيه الرب الباب لليهود ليقبلهم، ففى حادثة قيصرية فى بيت كرنيليوس قد فتح الرب الباب للأمم وبنفس الطريقة، وقبل الرب الأمم على قدم المساواة مع اليهود، وبذلك صارت المسيحية واحدة والكنيسة المسيحية واحدة مكونة من يهود وأمم. ففى المسيح «ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع» (غلاطية ٣:٢٧و٢٨).

القسم الرابع:

(١٢:٢٥-١٦:٥) وهذا القسم يتضمن بدء إنتشار الكنيسة من أنطاكية إلى آسيا الصغرى وقيادة الروح للمرسلين برنابا وبولس وسيلا، ومن هنا تبدأ إرسالية الأمم العظمى، وإن كان الروح القدس قد عمل فى الأقسام الثلاثة السابقة بكيفيتين هما القوة الروحية والقيادة الروحية، فإنه يعمل فى الأقسام الثلاثة الأخيرة التى تبدأ بهذا القسم بواسطة القيادة الروحية. وأهم حادثتين فى هذا القسم هما إفراز شاول وبرنابا للخدمة بين الأمم (أعمال ١٣:١-٣) ثم مجمع أورشليم الذى فيه تقررت حرية الأمم من نير الناموس، والموافقة على جوهر خدمة الرسولين بولس وبرنابا إلى الأمم (أعمال ١٥).

القسم الخامس :

(١٦:٦-١٩:٢٠) وفى هذا القسم يظهر الروح القدس شخصية أكثر تأثيراً فيمنع الرسول بولس ومرافقيه من العمل فى جهة ويوجههم إلى جهة أخرى. ومن أهم حوادث هذا الجزء هو فتح أبواب أوروبا بكيفية حاسمة بواسطة الروح القدس. وينتهى هذا القسم بالنصرة العظيمة للإنجيل فى أفسس رغم كل العقبات والتى منها إستخدام السحر (١٩:١٨-٢٠)

القسم السادس :

(١٩: ٢١-٢٨: ٣١) لا يظهر الروح القدس فى هذا القسم الأخير بشكل واضح فى حوادث هامة كما حدث فى الأقسام الخمسة السابقة ففى تلك الأقسام كانت هناك عدة أمور أساسية فى تأسيس الكنيسة وهى:

- قبول اليهود والأمم فى ملكوت الله.
- دخول الأمم إلى هذه النعمة دون معاونة من الناموس أو أعماله.
- توجيه الرسل فى الخدمة وتقديم الإنجيل لكل الناس بالكيفية والطرق المتعددة.

وبعد أن تم هذا كله كأساس متين للكنيسة، فلا داعى الآن لظهوره المعلن، المنظور أو المحسوس. ولأجل ذلك لا نجده يعلن نفسه بالكيفية التى أعلن بها فى الأقسام الخمسة السابقة. لقد أعلن نفسه بطريقة محسوسة بما فيه الكفاية، والآن يجب أن يعرف الناس عمله فى الداخل، فى القلب بكيفية غير منظورة.

وفى هذا القسم أعلن الروح القدس عمله الداخلى فى ثلاثة أمور:

الأول: تقديم الإنجيل إلى العالم كله.

الثانى : فتح أعين الكنيسة على الأنبياء الكذبة الذين خرجوا لكى يضللوا شعب الله. فالشيطان لا يسكت عند تكوين الكنيسة.

الثالث : تنظيم الكنيسة التى تتسع وتكبر، فيدعو أناساً للخدمة الروحية والتدبيرية من قسوس وشيوخ... إلخ.

وأخيراً فى هذا القسم حادثة ذهاب الرسول إلى أورشليم، وقيادة الروح القدس للرسول بولس إلى روما.

ويعلق مايكل جرين Michael Green على عمل الروح القدس فى حياة الكنيسة [1] من خلال العهد الجديد فيقول أن الروح القدس:

- يخلق الوحدة فى الكنيسة (أف ٤:٣-٦) والمصالحة (أف ٢:١٤-١٨)
- يصنع الشركة ويملأ الكنيسة بالمحبة (فى ٢:١و أع ٢:٤٢و١١:٢٨)
- يحى العبادة (يو ٤:٢٤)
- يعمق التعليم ويوضح الكلمة (٢ تيمو ٣:١٦و كو ٣:١٦و أع ٤:٨).
- يعمل فى الفرائض (يو ٣:٥و٦:٥٣)
- يقود إلى الإرسالية (أع ١٣:١-٣)
- يبنى الجسد فى المحبة (أف ٤:١٦) ويعطى المواهب فى إطار بناء الجسد ومركزية المحبة (١ كو ١٢و١٣).

(1) Michael Green , I believe in the Holy Spirit, Hodder and Stoughton 1975, PP. 121 - 148

ثالثاً : عمل الروح القدس فى العالم:

من الصعب على الكثيرين منا أن يفكروا ويؤمنوا أن روح الله يعمل فى العالم، وإن كنا من البداية قد أدركنا أن روح الله هو شخص الله، لذا وجب علينا أن ندرك أيضاً أننا لو حصرنا الله علينا وحدنا ، وربطناه بنا فقط، نكون قد رفضنا طبيعة الله الحقيقية، وجعلناه محدوداً جداً كما فعل وتصور شعب إسرائيل فى العهد القديم بفكرهم اليهودى الضيق، عندما كانوا يعتبرون الله وبركاته قاصرة عليهم كشعب الله المختار، وإن الله مرتبط بهم فقط من بين شعوب العالم، ولا يهتم بغيرهم من الأجناس والخلائق.

لكن الكلمة المقدسة تعلن لنا بوضوح قاطع أن الله يعمل فى العالم بروحه القدوس. فهو من البدء الله الخالق والمبدع لهذه العالم ، وكان «روح الله يرف على وجه المياه» (تك ١:٢) ولأنه المبدع للوجود كله، فهو يعتنى به ويرعاه ويسود عليه ، فهو الخالق والآب والملك لكل العالم، وكل الأشياء والأشخاص تحت سلطانه. وفى هذا المعنى يقول المرنم «ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف. هناك دبابات بلا عدد..... كلها إياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه، تعطيها فتلتقط، تفتح يدك فتشبع خيراً. تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتخلق. وتجدد وجه الأرض» (مزمور ١٠٤: ٢٤-٣٠) وفى نبوة إشعياء «هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة

والساكنين فيها روحاً (إش ٤٢:٥).

وفى العهد الجديد علمنا الرب يسوع نفس الحقيقة وتعداها إلى إظهار صلاح الله وجودته ولطفه للجميع، وأن جميع الكائنات تلجأ إليه، وهو ينعم على الكل من أشرار وصالحين، ويغفر للعصاة التائبين، ويفتح قلبه للضالين، لأن أبوة الله ومحبته الغنية ورحمته الواسعة إتجاه غافر رحيم مرحب يدعو إلى بابة المفتوح وقلبه الكبير كل إنسان (لوقا ١٥، مت ٦:٢٦ - ٣٥، مت ٥:٤٤-٤٨). والرسول بولس يعبر عن نفس الحقيقة فيقول «... إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شئ.. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته» (أع ١٧:٢٤-٢٨):

من كل هذا وغيره الكثير الذى لا يتسع المجال لذكره فى هذه اللمحه السريعة، يتضح أن الله هو الخالق والآب والملك والعامل بروحه القدوس فى كل العالم (مزمور ٩٥، ٩٦، ٩٧). وهو أيضاً إله العدل الذى يتطلع من مكان سكناه إلى جميع سكان الأرض، لأنه المصور قلوبهم جميعاً والمنتبه إلى كل أعمالهم (مزمور ٣٣:١٣-١٥).

إذا، إذا لأن هذا هو إيماننا بإلهنا كما يعلنه لنا الكتاب المقدس، وكما نراه فى التاريخ البشرى، الإله العامل بروحه فى العالم. God in Acts فكل إتجاه نراه فى العالم الآن للسلام والمصالحة وإنهاء الحروب وحل النزاعات سلمياً وإنتهاء النظريات والإيديولوجيات الملحدة، وسقوط الأسوار بين الدول، والإتجاه نحو التكامل والتعاون، وتعميق الديمقراطية وحرية الرأي وحقوق وكرامة الإنسان فى كل مكان، وتوسيع رقعة التنمية وتحرير الاقتصاد، ومقاومة الفقر والمجاعات ، والانتصار على الأمراض

بالاكتشافات العلمية الحديثة فى وسائل التشخيص والعلاج، والتركيز على العلم والبحث العلمى لخير الإنسان والاستفادة من ثورة الإتصال والمعلومات لوعى أفضل للشعوب، ومحاصرة الإرهاب والأمية والفساد والاهتمام بالثقافة المستنيرة للشعوب، ورعاية ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمعوقين، والاهتمام بالأطفال وبالمرأة ودورها فى خدمة المجتمعات، وتنشيط دور مؤسسات المجتمع المدنى والمشاركة العامة... إلى آخر هذه الإتجاهات المعاصرة، والتى يضيق المقام بحصرها هى من عمل روح الله فى العالم، ومن سيادة الرب الملك على الشعوب والحكام وملوك الأرض فهو أعلى من ملوك الأرض (جامعة ٥:٨)، وقلوب الملوك فى يده جداول مياه يميلها كما يشاء.

وطالما أن هذا هو إيماننا ينبغى أن تكون كل هذه الإتجاهات التى يحدثها الله فى العالم، لحياة أفضل لكل البشر، موضع اهتمامنا وصلواتنا ومشاركتنا الإيجابية.

الباب الثانى

قضايا ومواقف

الفصل السادس

التكـــــلم بألســـــنة

يرد موضوع التكلم بألسنة فى ثلاثة كتب فى العهد الجديد (إنجيل مرقس ١٦:١٧) وفى (سفر الأعمال٢ :٤،. ١:٤٦،١٩:٦) وفى (الرسالة الأولى إلى كورنثوس الأصحاحات ١٢-١٤). أما فى غير هذه الأمكنة فلا نسمع أى ذكر ولا نجد أى أثر للألسنة. كما أنها غير موجودة حتى فى الأمكنة التى يعدد فيها الرسول بولس المواهب الأخرى مثل (رومية ١٢،وأفسس٤) ولقد قدم الدكتور القس فهيم عزيز [1] دراسة مستفيضةفى هذا الإتجاه. وهى نفس الخلاصة التى أنتهى إليها كل من جون ستوت، ج.أ باكر. وكذلك هى نفس الخلاصة التى أنتهت إليها كل دراسة وجدت بين يدى حول هذا الموضوع.

١ - بالنسبة للألسنة فى إنجيل مرقس، يقول الرب يسوع «وهذه الآيات

(١) القس الدكتور فهيم عزيز مواهب الروح القدس صفحة ٣١-٤٤.

تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين بأسمى ويتكلمون بألسنة جديدة». (مرقس ١٦:١٧). هذه الآيات لا يقصد بها الإنطلاق والعمومية، بمعنى أنها ليس لكل المؤمنين ولا لكل العصور، بل هى للعصر المسيحى الأول لتثبيت الشهادة. ولا توجد فقرة أخرى فى العهد الجديد تعلن أن الآيات هى علامات مستمرة لكل المؤمنين فى كل العصور كما يظهر هنا، ولكنها كانت تتبع الرسل وحدهم بالإضافة إلى شخص واحد هو فيلبس. وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يحسم هذا الرأى عندما يقول عن الرسل «شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته». (عب ٢:٤).

٢ - أما الألسنة فى سفر الأعمال فهى فى ثلاثة مواضع: يوم الخمسين (٢:١-١٣) وفى بيت كرنيليوس (١٠:٤٤-٤٨) ثم فى أفسس مع تلاميذ يوحنا. (١٩:١-٧). وفى البداية نقول هناك فرق واضح بين ظاهرة الألسنة فى الأعمال وبين تلك التى يذكرها الرسول فى رسالة كورنثوس الأولى. فألسنة سفر الأعمال ظواهر تاريخية ظهرت فى مواقف محددة وفى أماكن معروفة، أما فى كورنثوس فهى ظواهر إختبارية أختبرها الرسول مع أعضاء الكنيسة. وألسنة سفر الأعمال صاحبت حلول الروح فى يوم الخمسين فقط كعلامة على مجئ الروح القدس لأول مرة على اليهود، ولكنها لم تظهر قط فى أى موقف من مواقف الكنيسة اليهودية. وبنفس القياس حدث فى بيت كرنيليوس كعلامة على مجئ الروح القدس لأول مرة على كنيسة الأمم ولم تظهر مرة أخرى . وبنفس القياس أيضاً على تلاميذ يوحنا فى أفسس، وقد كانوا من اليهود اليونانيين، ولم نسمع عنها شيئاً آخر فى أفسس. من هذا نستخلص أن الألسنة ليست جزءاً من الاختبار المسيحى العام. ولكن لوقا

ذكرها صراحة فى هذه المواقف الثلاثة لكى تكون الإقناع الملموس والمحسوس لكل من السامع والمتكلم على إنسكاب الروح القدس وعلى ابتداء العهد الجديد لكل من اليهود والأمم. أما فى هذا العصر الحاضر فلسنا فى حاجة إلى إثبات الإيمان، لأن الإيمان أو الإعلان أو الوحى قد أكتمل وتم.

٣ - نأتى أخيراً إلى الألسنة فى كورنثوس. وهى ترتبط بالخدمة والعبادة فى الكنيسة. ويميز أ. هـ. بلمبتر E.H.Plumptre [١] بينها وبين الألسنة فى سفر الأعمال على النحو التالى:

- فى يوم الخمسين الجميع تكلموا بألسنة أى بلغات (أعمال ٢:٤). أما فى كورنثوس فكان الأمر على عكس ذلك (١ كورنثوس ١٢: ٣٠).

- فى يوم الخمسين كانت الألسنة مفهومة عند السامعين (أعمال ٢:٦) أما فى كورنثوس فلم يفهم الألسنة أحد (١ كورنثوس ١٤:٢-٩).

- فى يوم الخمسين كلموا الناس (أعمال ٢:١١و١٧) أما فى كورنثوس فكلموا الله (١ كورنثوس ١٤:٢).

- فى يوم الخمسين لم تكن الحاجة إلى مترجم (أعمال ٢:٦). أما فى كورنثوس فلم يكن مسموحاً بالتكلم بألسنة إلا إذا وجد من يترجم (١كورنثوس ١٤:٢٣و٢٨).

---

(١) ج ازوالد الدساندرز، النضج الروحى ، صفحة ١٩٨.

- فى يوم الخمسين كان التكلم بألسنة علامة أو إثباتاً للمؤمنين (أعمال ١١:١٥). أما فى كورنثوس فكانت الألسنة آية لغير المؤمنين (١ كورنثوس ١٤:٢٢).

- فى يوم الخمسين تسبب التكلم بألسنة فى خلاص السامعين (أعمال ٢:٤١). أما فى كورنثوس فكان التكلم بألسنة يبنى المتكلم (١ كورنثوس ١٤:٤).

- فى يوم الخمسين بهت الغرباء الذين سمعوا وتعجبوا (أعمال ٢:٧و٨) أما فى كورنثوس فحذر بولس المؤمنين من سوء إستخدام الألسنة فقال أنه إذا تكلم الجميع بألسنة فى الكنيسة فالغرباء، من عاميين أو غير مؤمنين سيقولون أن المتكلمين يهذون (١ كورنثوس ١٤:٢٣).

- فى يوم الخمسين كان إنسجام تام (أعمال ٢:١) أما فى كورنثوس فكان إضطراب وفوضى (١كورنثوس ١٤:٣٣).

والألسنة كموهبة ضمن مواهب الروح لم تأت إلا فى هذه الرسالة، وتغفل تماماً فى قائمة المواهب فى رومية وأفسس. ولذلك ترتبط بطبيعة تركيب المجتمع الكنسى فى كورنثوس الذى أتى من خلفية وثنية، بما فيها من ديانات سرية تتميز بنوع من الانجذاب والنشوة الدينية ecstacy التى إذا وصل إلى قمتها شخص ما تحت تأثير الإله الذى يعبده، وأشتد تأثير هذه الحالة عليه لدرجة لا تحتمل، كان عليه أن يلعن هذا الإله لكى يتخلص من تأثيره. ويظن بعض المفسرين أن بعضاً من الكورنثيين فعلوا هذا ولعنوا يسوع عندما أشتدت عليهم هذه الحالة وخصوصاً عند التكلم بألسنة. ولذلك

حدث هياج شديد فى الكنيسة وشوشرة لدرجة أجبرت قادة الكنيسة أن يكتبوا للرسول عنها. وقد رأى الرسول فى ذلك تكراراً لما كان يحدث لهم فى الوثنية وأنهم لم يتخلصوا بعد من هذه العادات القديمة. وهكذا ظهر إنقسام آخر فى الكنيسة لأن المتكلمين بألسنة ظنوها العلامة على أنهم وحدهم الذين يمتلكون المواهب الحقيقية دون غيرهم، فنظروا باحتقار لمن لهم المواهب الطبيعية للدرجة التى فيها شك هؤلاء فى قيادة الروح لحياتهم وأشتهوا مواهب الغير.

ومن الملاحظ أن الرسول لم ينكر هذه الظاهرة بشرط أن تتميز عن الظاهرة الوثنية التى أشرنا إليها (١ كورنثوس ١٢:١-٣). كما أن الألسنة تأتى فى نهاية القائمة من حيث الأهمية، وهى ليست الموهبة الوحيدة أو الهبة الفريدة التى يعطيها الروح القدس الذى وزع عطاياه ومواهبه لأناس متعددين فى الكنيسة. كما أن هذه المواهب المتساوية الضرورة لم تعط للأفراد للكبرياء كأمتياز شخصى، لكنها أعطيت لخدمة الكنيسة وبنائها ووحدتها. فكما أن التنوع فى العمل هو طابع أعضاء الجسد، هكذا التنوع فى الخدمة هو طابع المواهب الروحية، ولكن جميعها يربطها الهدف الواحد الذى هو بنيان كنيسة الله. فكل المواهب والعطايا والخدم والأعمال يصفها الرسول بأنها عطايا ومواهب من الرب غير مفرق بينها، وأنها جميعاً، بما فيها الخدمات الإجتماعية والتدبيرية (١ كورنثوس ١٢:٢٨، رومية ١٢:٨) والتعليمية والتنظيمية (أفسس ٤:١١)، مواهب روحية لأن طبيعتها ومصدرها من الروح القدس. بل ربما نرى أن المواهب الغير عادية هى أقل المواهب نفعاً للكنيسة. فلا كبرياء ولا أنانية بل مشاركة وإحساس بالآخرين فى كل شئ (١ كورنثوس ١٢:١٢-٣٠).

وبما أن كل هذه المواهب للخدمة، فلابد أن تندرج تحت طريق واحد هو المحبة كالطريق الأفضل (١ كورنثوس ١٣). وبدون غطاء المحبة للمواهب فلا نفع يرجى منها بل تتحول إلى مصدر للضرر والكبرياء وعبادة الذات.

وهكذا نرى أن الرسول فى (أصحاح ١٢) يكشف عن ضرورة المواهب وتنوعها وعملها ومصدرها الحقيقى وهو الروح القدس (تمييزاً لها عن بعض الظواهر النفسية المشابهة)، وفى (أصحاح ١٣) يرينا الطريق الأفضل الذى يتحكم فى المواهب فيجعلها بانية ونافعة وهو طريق المحبة ثم فى (أصحاح ١٤) يعطينا التقييم أو التقويم الفعلى للمواهب ليكمل المبدأ الحقيقى الذى يجب أن يسود المواهب وهو المحبة هى الطريق الصحيح لترشيد المواهب، وبناء الكنيسة هو المقياس الصحيح لقيمة المواهب (١٤:٥). وعلى أساس ذلك نبر الرسول على أن الألسنة رطانة أو صوت غير مفهوم إن لم تترجم (١٤:٧-١٠). وأن المتكلم بلسان يفعل ذلك بروحه فقط أما ذهنه فلا ثمر له وبالتالى فلا بنيان للسامع، وهذا يختلف عن النبوة أى التعليم التى يفعلها الشخص بروحه وذهنه فينفع نفسه والذين يسمعونه (١٤:١٢-٢٠). كما أن الألسنة قد تكون آية للمتكلم، لكنها سخرية للسامع الغير مؤمن الذي لا يفهمها ولا يفهم مصدرها وهدفها، بعكس النبوة (١٤:٢١-٢٥). إذن موهبة الألسنة فى الكنيسة ليست للبناء بل قد تدفع إلى الكبرياء والتشويش، وهى أمر شخصى لا يجب أن نضيع الوقت فى الجدل حوله، أما إذا زادت عن ذلك فغالباً ما تكون شيئاً لا صلة له بالروح القدس.

ولهذا فليس من الإيمان أن نقبلها بصورة عامة، فالإيمان لا يرفضها من حيث وجودها كظاهرة فى كورنثوس، ولكنه لا يصدق كل من يدعيها الآن.

يقول وليم باركلى "William Barclay" فى شرحه للعهد الجديد: (كانت هذه الظاهرة معروفة ومألوفة جداً فى الكنيسة الأولى. كان الواحد يصبح فى حال من النشوة، فيصدر عنه وهو فى تلك الحال، سيل جارف من الأصوات التى هى ليست من لغة معروفة. فما لم تترجم هذه الأصوات لا يقدر أحد أن يعرف معناها. والمستغرب هو أن هذه كانت تحسب فى الكنيسة الأولى موهبة مرغوبا فيها جداً، كانت موهبة خيِّرة. وكانت غير عادية ومعتبرة جداً، ولذلك كان من يحصل عليها يصبح عرضة للشعور بالكبرياء الروحية، بسبب موهبته تلك. ثم إن الرغبة نفسها فى الحصول على هذه الموهبة أوجدت فى البعض وعلى أقل تقدير، نوعاً من الإيحاء الذاتى ونوعاً من الهيستريا المفتعلة التى يصدر عنها تكلم بألسنة هو فى الواقع تكلم زائف وإصطناعى وقائم على الوهم.

ويقول ج. ازوالد ساندرز فى كتابه («النضج الروحى» صفحات ١٩٩ - ٢٠٠) «مما تجدر ملاحظته أن النطق تحت تأثير نشوة دينية لا تنفرد به الجماعات الخمسينية دون سواها. هذا التكلم بنشوة معروف فى الإسلام والهندوسية والمرمونية وحركة مناجاة الأرواح».

ويذهب أحد الكتاب إلى أنه: «فى كل الديانات تقريباً عندما تصل الحرارة الدينية إلى حد التطرف، تحدث ظواهر مشابهة لظاهرة التكلم بألسنة». فالتكلم بألسنة إذا قد يكون فى بعض الأحيان من عمل روح الضلال، كما قد يكون فى أحوال أخرى من عمل روح الحق.

الأسباب الداعية للحذر:

إننا نعتبر أولئك الذين لهم هذه الآراء والاعتقادات أخوة لنا فى الإيمان

وبينهم عدد كبير من المسيحيين الحقيقيين المخلصين. لكن علينا أن نقوّم هذه الحركة فى ضوء ثمارها، والأخطار التى من الممكن أن تنجم عنها. ومن الأخطار العظيمة التى تحيط بهذه الحركة ذلك الميل للتقليل من أهمية ما هو رئيسى وجوهرى، وتعظيم ما هو ثانوى وطارئ. إن تعظيم كل ما هو إستعراضى مثير يعمل على جعل الحقائق المسيحية الرئيسية فى الدرجة الثانية بالنسبة للظواهر الروحية الشخصية، والاختبار الذى تولده هذه الظواهر. وأى تعليم يعمل على هذا يصبح فى الحال موضع شك وإرتياب.

وفى ما يلى عدد من الأخطار التى تواجه هذا التعليم [(١)] :

* الفريسية الروحية :

من الممكن، بالطبع، أن تتعرض أية دائرة مسيحية للفريسية الروحية، ولكن الخطر أعظم فى حركة تدعى الحصول على معرفة خاصة للحق تميزها عن سواها.

* التعرض للتزييف :

من المسلّم به أن موهبة الألسنة هى الأكثر تعرضاً لسوء الاستعمال

---

(١) أنظر: ج أزوالد ساندرز، النضج الروحى ، صفحات ٢٠٨ - ٢١١

والتزييف بين سائر المواهب الروحية. وإذا تذكرنا أن الحركات الدينية الغارقة في الضلال، وتلك التي هي ضد المسيحية هي أيضاً قد تختبر هذه الظاهرة، عرفنا أن التكلّم بلسان قد ينبعث من الجحيم مثلما يصدر عن السماء. يسر الشيطان أن يشوه وأن يقلد كل ما هو صالح ومقدس ويحوله لغاياته الدنيئة. والعالمان الطبيعي والروحي متجاوران مترابطان حتى أنه يسهل الخلط بينهما. إن الحماسة والهياج الجسديين كثيراً ما يخدعان الإنسان ويظهران كما لو كانا حماسة روحية حقيقية.

* التعرض للإنقسام :

إن هذه النقطة لا تحتاج إلى زيادة في الإيضاح بالنسبة لمن يعرف ولو شيئاً قليلاً عن تاريخ الحركة الخمسينية. لقد كان تاريخ إنقسام مستمر بين الخمسينيين أنفسهم، كما بين الجماعات الإنجيلية التي نشأت نتيجة لخدمتهم. لقد كانت وصية بولس للمؤمنين في رومية عكس ذلك: «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات، خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه، واعرضوا عنهم» (رومية ١٦:١٧).

* الإفراط في العاطفية :

ولئن كانت كنائسنا أحياناً تميل لكبت العنصر العاطفي كبتاً زائداً، فنقيض هذا الكبت هو الخطر الذي تتعرض له هذه الحركة.

إن حالة النشوة هذه، كانت مسرة لأهل كورنثوس ومصدر إعجاب الآخرين بهم ومنافستهم لهم، حتى أنها أصبحت بالنسبة لأولئك المسيحيين، لما كانوا عليه من الولع بالمظاهر المثيرة، الهدف الرئيسى الذى يسعون إليه، تماماً كما هى الحال فى الكنائس الخمسينية فى أيامنا. فبدلاً من المواظبة على عمل الحق أصبح الكورنثيون يميلون لقضاء وقتهم فى عرض المشاعر القوية، وهذه العاطفة الدينية غير المنضبطة غلبت على العقل والتمييز. لقد أصبح الشعور البشرى والطبيعى يحسب غيرة وحرارة روحية. وقد ظهرت هذه الميول ذاتها فى الحركات الخمسينية مصحوبة فى كثير من الأحيان بتطرفات خطيرة محزنة.

ولقد قام الدكتور آرثر ت. بيرسون " Arthur T. Pierson" بتحريات عالمية واسعة النطاق عن خصائص الحركة الخمسينية ومدى إنتشارها وتقدمها. وأعطانا مجموعة ملخصة من الاعتبارات التى لابد من مراعاتها عند النظر فى هذا الموضوع. وهذه الإعتبارات هى:

- كلمة الله المنزهة عن الخطأ، لا الاختبار البشرى وحده، هى المرجع النهائى الذى يعطى الحكم الصحيح فى الموضوع.

- المواهب التى ينبغى أن نسعى إليها أكثر من سواها، هى تلك التى تبنى أكثر من سواها.

- جميع المواهب الروحية الصحيحة تعمل على السلام والإنسجام.

- كل إنسكاب حقيقى للروح القدس يؤدى إلى التواضع ويروض الطبع الشرس فى الإنسان.

- كل موهبة يطلبها الناس حباً لها، أو طلباً لتمجيد الذات تصبح خداعاً وفخاً.

- كل سيطرة أو تأثير بشرى مفرط يتعارض مع سيادة روح الله.

- كل ما ينزع إلى بث الشقاق والتفريق والتباعد هو موضع للأرتياب الشديد.

الفصل السابع

هزيمة الشيطان وإخراج الشياطين

يتحدث البعض كثيراً عن الحرب الروحية وإنتهار الشيطان وإخراج الشياطين إلى آخر هذه المفردات والمعانى. وليست المشكلة فى الحديث عن الحرب الروحية أو عن الشيطان، ولكن فى مضمون الحديث عن طبيعة الحرب الروحية، وفى المبالغة وسوء الفهم لطريقة الشيطان فى هذه الحرب الآن. وفى المناخ السلبى الذى يتركه مثل هذا الحديث فى النفوس.

هزيمة الشيطان

والكتاب المقدس عامة، والعهد الجديد على وجه الخصوص يحدثنا أن لغة شعب الرب المقام، يجب أن تكون لغة النصر والغلبة. فلقد أعطانا الله الغلبة بربنا يسوع المسيح، وهو يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين (١كورنثوس ١٥:٥٧، رومية ٨:٣٧، ٢ كورنثوس ٢:١٤). هذا يعنى أن الله فى المسيح، وبعمل المسيح أعطانا الانتصار على الشيطان وعلى الشر،

وأننا نحارب شيطاناً مهزوماً.

في كتابه «أنا أؤمن بسقوط الشيطان» قدم مايكل جرين، ست مراحل لهزيمة الشيطان في الكتاب المقدس. فتحدث عن إعلان الهزيمة في سفر التكوين، حيث أعلن الرب الإله في حديثه للحية «وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين تسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» (تكوين ٣: ١٥). ثم بداية الهزيمة في خدمة المسيح على الأرض وإنتصاره عليه، وقد أعلن المسيح لتلاميذه «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لوقا ١٠: ١٨). وفي (لوقا ١١: ١٤-٢٢) يعلم يسوع أنه «الأقوى» الذي يغلب الشيطان القوي ويجرده من سلاحه الكامل، الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه. أما المرحلة الثالثة فهي تحقيق الهزيمة، وقد تحققت الهزيمة على الصليب، فلقد أباد بموته «ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عبرانيين ٢: ١٤-١٥). وفي القيامة تمت المرحلة الرابعة وهي تثبيت وإذاعة الهزيمة وإعلان الإنتصار، وفي هذا يقول الرسول بطرس في عظته في سفر الأعمال «أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت...» (أعمال ٢: ٢٤)، ثم يقول في رسالته الأولى عن المسيح بعد قيامته وصعوده «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له» (١ بطرس ٣: ٢٢). وفي حديث الرسول بولس إلى كنيسة أفسس يقول «... إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات. فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل إسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شئ تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة. التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أفسس ١: ٢٠-٢٣).

وفى إرسالية الكنيسة نجد إمتداد الهزيمة وإستمرارها، والرسول بولس يعبر عن هذا المعنى فى إحتجاجه أمام الملك أغريباس وهو يشير إلى دعوته لهذه الإرسالية «لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين» (أعمال ٢٦:١٨) (أنظر كولوسى ١:١٣،١ تسالونيكى ١:٩).
أما المرحلة الأخيرة فهى كمال الهزيمة فى مجئ الرب يسوع ثانية، عندما تجثو له كل ركبة ويعترف به كل لسان أنه رب لمجد الله الآب. وسيطرح الشيطان فى بحيرة النار مع الموت والهاوية، لأن آخر عدو يبطل هو الموت. وهكذا عندما تدمر كل سلطة إبليس وقوته تدميراً كاملاً سيسلم الرب يسوع الملك للآب، وسيكون هو الكل فى الكل (١ كورنثوس ١٥:٢٤-٢٨، فيلبى ٢:٩-١١، رؤيا ٢٠:١٠و١٤).

الحياة فى موكب النصرة

إلى أن يتحقق هذا التدمير الكامل والنهائى لسلطة وقوة إبليس المهزوم من المسيح، يحاول الشيطان أن يحارب شعب الرب بطرق عديدة . والحقيقة الهامة التى نتعلمها من حياة وعمل الرب يسوع أن الحياة المسيحية جندية وصراع كما حدث للمسيح، وأنها أيضاً انتصار وغلبة كما انتصر المسيح. إن الرسول يوحنا يكتب إلى الأحداث لأنهم غلبوا الشرير (١ يوحنا ٢:١٣)، والشرير لا يمس المسيحى المولود من الله. ولكن على المسيحى أن يجاهد فى يقظة مستمرة لأن إبليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه، وعلى

المسيحى وهو يجاهد فى حياته اليومية أن يدرك فى يقين أنه فى المسيح يحارب عدواً مهزوماً، وأنه يملك فى المسيح كل مقومات وإمكانيات الغلبة والانتصار، فنحن فعلاً نحيا فى موكب نصرة المسيح. والعهد الجديد كله يعلمنا أننا فى المسيح لسنا تحت سلطة الناموس أو الجسد أو العالم أو الموت.. إذن شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح. ففى يقين الانتصار نحارب كمؤمنين وككنيسة معركتنا الروحية بوعى وسهر. فالشيطان منذ إرسالية الكنيسة وحتى الآن يستخدم بعض الأساليب التى نراها بوضوح فى سفر الأعمال الذى فيه نرى الصراع بين الكنيسة والعالم من حولها أى البشر، وكذلك فى سفر الرؤيا الذى فيه نرى الصراع بين الكنيسة وبين الشيطان مباشرة، والشيطان هو الذى يحرك العالم والبشر.

وفى السفرين نرى الشيطان بعد أن انتصر عليه المسيح، يحارب شعب الرب بطرق تكاد تكون متشابهة تماماً مع اختلاف طفيف. فهو يستخدم الإضطهاد سواء فى الرؤيا، ممثلاً فى الوحش الأول كقوة سياسية، أو فى سفر الأعمال من خلال اضطهاد وسجن وجلد جماعة الرسل. وهو يستخدم الخداع العقلى والفكرى كما نراه فى الرؤيا فى الوحش الثانى الذى يمثل القوة الفكرية التى تحاول طمس عيون الناس الروحية. وهو يستخدم الانحراف السلوكى والأخلاقى والفساد الأدبى، كما نراه فى سفر الرؤيا فى المرأة الزانية، أو فى سفر الأعمال فى اختراق الكنيسة من الداخل، من خلال حادثة حنانيا وسفيرة مثلاً. بهذه الأسلحة وغيرها الآن يحارب الشيطان كنيسة المسيح، لكن الكنيسة التى إنتصرت فى المسيح تنتصر الآن بالمقاومة الجادة لمحاولاته «قاوموا إبليس فيهرب منكم» وبالرسوخ فى الإيمان

وإستخدام سلاح الله الكامل (١ بطرس ٥:٨و٩، أفسس ٦: ١٠-١٧). كما تنتصر الكنيسة بإعلان إنجيل يسوع المسيح الذى هو قوة الله للخلاص وبانتشار الإنجيل تنحسر مملكة الشيطان، وتتحرر النفوس وتشاركنا الإنتصار فى المسيح.

إخراج الشياطين

إن كنا فعلاً نحارب عدواً ساقطاً ومهزوماً، وإن كان الرب يسوع قد قهره سواء فى حياة الناس وأجسادهم، أو فى حياته وعمله هو، فما المقصود الآن بظاهرة إخراج الشياطين؟

هذه الظاهرة لا توجد فى قوائم مواهب الروح القدس سواء فى رومية أو كورنثوس أو أفسس. لكنها موجودة فى إرسالية يسوع فى الأناجيل الثلاثة الأولى، أما الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، فلا مكان لهذه الظاهرة على الإطلاق. وفى سفر الأعمال لا نجدها إلا فى ثلاثة أماكن (أعمال ٥و٨و١٩). وهى مذكورة بلغة عامة. أما فى رسائل العهد الجديد كلها فلا توجد هذه الظاهرة بالمرة، ولكننا نرى الحديث عن إبليس كإله هذا الدهر ورئيس هذا العالم (أفسس ٢:٢، ٦:١٢، ٢ كورنثوس ٤:٤).

من هذا التدرج نرى بوضوح أن الشيطان بعد أن فشل وهزم فى معركته المباشرة مع المسيح فى الأناجيل الثلاثة الأولى، بدأت تختفى هذه الظاهرة: ظاهرة إخراج الشياطين، ويأتى الشيطان بإستراتيجية أخرى جديدة، وهى

التى أشرنا إلى خطوطها العريضة كما وردت فى سفرى الأعمال والرؤيا، مثل الاضطهاد والخداع الفكرى والفساد الأدبى والأخلاقى، إلى آخر الطرق التى يعمل بها فى العالم حتى الآن، ويستخدم الساسة أو التعاليم الغريبة والخاطئة أو وسائل الإغراء والإنحراف والشر. إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع هذه القوى التى يستخدمها عدو الخير فى هذا العالم.

كما أن ظاهرة إخراج الشياطين التى جاءت فى حياة يسوع فى الأناجيل الثلاثة الأولى، وفى الأماكن القليلة فى سفر الأعمال، كانت كغيرها من الآيات والعجائب والقوات التى ارتبطت بإعلان الملكوت الجديد وتثبيت الشهادة، وهى تسمى «علامة المسيا» ومرات «علامات الملكوت أو علامات الرسول» إلى آخره. لكنها كما ذكرنا إختفت تماماً بعد ذلك لتحل محلها الأساليب الأخرى التى يعمل من خلالها الشيطان فى العالم.

إذن ما يعرف الآن بظاهرة إخراج الشياطين يجب أن يفسر بعيداً عن الكتاب المقدس الذى قال كلمته بوضوح فى هذا المجال. وربما يخلط البعض بين هذه الظاهرة القديمة وبين العديد من أعراض الأمراض النفسية والعصبية، وخاصة التى تترك أعراضاً جسدية وتسمى «سيكوسوماتيك»؟

وهذا الخلط يكون عند البعض سواء فى مجال هذه الظاهرة أو فى مجال الشفاء عموماً. والناس متعبون ومضغوطون ومرضى، وهم بحاجة أن نصلى لأجلهم وننصحهم بعرض حالتهم على أطباء متخصصين للعون والمساعدة، وهكذا نأخذ بيدهم بدلاً من أن نخدعهم ونبلبل تفكيرهم فنزيدهم تعباً على تعبهم.

الفصل الثامن

مشكلة الألم وقضية الشفاء

يتصور البعض أن حياة الإنسان المؤمن الممتلئ بالروح القدس تخلو من الألم والمرض والمشكلات، وأن أيامه كلها عبارة عن سلسلة من لحظات السعادة الدائمة المفروشة بالورود والرياحين. أما إذا تعرض للمرض أو المشكلات، فعليه أن يصلى بإيمان، فيختفى المرض فوراً، أو تنتهى المشكلات حالاً.. فالإيمان القوى لا يحتاج إلى طبيب أو دواء، ولا يعانى أبداً من المشكلات والضغوط.

هذا التصور هو نوع من خيال الطفولة، المولع بالقصص والأساطير، والتى يغذيها بعض الأفراد والقيادات التى تريد استغلال الدين وجذب الأضواء حولها، وبالتالى تشغل الناس بأمور ثانوية بعيدة عن الاحتياج الحقيقى لبنائهم ونضوجهم.. فما هو الهدف الحقيقى للقائد أو المعلم؟ ألم يقل الرسول بولس أن هدف حياته وخدمته لا أن يجذب الجماهير حوله، بل أن ينادى بالمسيح الذى هو رجاء المجد «منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة، لكى نحضر كل إنسان كاملاً - ناضجاً - فى المسيح،

الأمر الذى لأجله أتعب أيضاً مجتهداً بحسب عمله الذى يعمل فى بقوة».
(كولوسى ١:٢٧ -٢٩)؟..

وهل علمنا السيد المسيح أن حياتنا على الأرض تخلو من الآلام والمتاعب؟ ألم يقل «فى العالم سيكون لكم ضيق، لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم»؟ .. ألم يختبر السيد بنفسه أهوال آلام الصليب، ليعلمنا حقيقة كبيرة للإيمان، أن الألم والصليب هو الطريق والمدخل إلى المجد..

وهل واجه الرسول بولس قدراً ضئيلاً من الألم؟.. ألم يواجه الشدائد والضرورات والضيقات والضربات والسجون والاضطرابات والأتعاب والأسهار والأصوام.. إلخ (٢ كور٦:٤-١٠). وألم يعلمنا عن حتمية «آلام الزمان الحاضر» (رو ٨:١٨)؟.. بل أكثر من ذلك لقد عانى الرسول من شوكة فى جسده وتضرع مراراً للشفاء، ولم تكن الاستجابة شفاء فورياً معجزياً بل نعمة مقوية رافعة له فى ضعفه، فهل كان إيمان الرسول ضعيفاً؟!!!!!! وهل كان غير ممتلئ من الروح القدس؟!!!

وماذا علمنا الرسول بطرس؟ ألم يقل «لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنما أصابكم أمر غريب» (١ بط ٤:١٢). إن مشكلات وآلام وتجارب الحياة ومصاعبها، جزء طبيعى من نسيجها ومن طبيعتها المتغيرة والمتقلبة، بالإضافة إلى أن الحياة المسيحية بالذات دعوة ورسالة يجب أن ندفع ثمنها وأن نتحمل المعاناة فى سبيلها فلابد من حساب النفقة للتلميذ الذى يتبع الرب يسوع، وأن يكون مستعداً لذلك. وأن يحمل صليبه كل يوم..

إننا نؤمن أن إلهنا قادر دائماً أن يشفى كل مرض وبكل الطرق المباشرة

وغير المباشرة حسب مشيئته. وأنه إله الشفاء خلف كل طبيب وكل جديد فى وسائل التشخيص والعلاج، لأنها كلها من فيض نوره فى عقل العلماء الذين يكتشفون ويبدعون الجديد كل يوم لتخفيف آلام البشر.. نحن نؤمن بكل ذلك إيماناً مطلقاً..، ونؤمن أيضاً أن الله يعمل فى كل الأشياء ويستخدم كل الأشياء لخير أحبائه، وهو قادر دائماً أن ينجى من كل ضيق.. لكننا نؤمن أيضاً أننا يجب أن نسلم أمورنا لمشيئته الصالحة، فنردد مع السيد بدموع تتساقط كقطرات دم «يا أبتاه إن إمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس.. ولكن.. لتكن مشيئتك».

إن الكتاب المقدس يعلمنا أن ننظر إلى هذه الأمور نظرة عميقة ناضجة متوازنة، مرتبطة بالتعليم الكتابى وبالاختيار الإنسانى لقديسى الكتاب، بالإضافة إلى أختبارنا البشرى العام. فكاتب الرسالة إلى العبرانيين يحدثنا عن قائمة من العديد من المعجزات الإلهية لرجال الله «الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برا، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء فى الحرب، هزموا جيوش غرباء»... وفى نفس الفقرة يضيف قائمة أخرى من رجال الله الذين اختبروا الإيمان بطريقة أخرى فيقول «وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود أيضاً وحبس رجموا، نشروا، جربوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض»... ثم يختم الكاتب هاتين القائمتين معاً بالقول «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان» (عب ١١:٣٢-٣٩). القائمة الأولى عن الإيمان بالله الظافر القادر على النجاة والخلاص، والقائمة الثانية أيضاً عن الإيمان بالله الظافر القادر أن يعطى

صلابة وتماسكاً وقوة وصبراً لمواجهة آلام وتحديات الواقع والرسالة، إذن الإيمان المسيحي لا يحمينا أو يعفينا من آلام الحياة، لكنه يعطينا ويعلمنا الأسلوب الصحيح لمواجهتها..

إننا مدعوون أن نصلي بإيمان واثق، يتوقع دائماً الاستجابة، ويطلب دائماً التغيير من خلال الصلاة.. وهي حقيقة مسيحية نعيش بها وعليها ونختبرها في الكثير من جوانب الحياة والخدمة... ولكننا يجب أن ندرك أنه في كل مفاهيم الإيمان المسيحي تبرز استجابة الصلاة والإيمان القوي في تقبل كل شئ كعطية من الله.. وأن الله- كما يقول كلفن - هو كل شئ بالنسبة لنا، فأن نكون في شركة مع الله، في الصلاة والحياة اليومية هذا كل شئ مهما كانت الظروف ، لأن الصلاة المسيحية في جوهرها شركة وعلاقة «بأب» يعلم كل ما نحتاج إليه قبل أن نسأله، ويهب خيرات «الروح القدس» للذين يسألونه. بهذا المعنى تكون الصلاة - كما يقول لاهوتيو الإصلاح - تدرب على طريق النعمة، تغير فينا كما تغير من حولنا، وتعطينا فرصا للتعرف بعمق على شخص الرب وعلى قلبه المحب وسط كل الظروف، فنختبر أنه «صالح هو الرب حصن في يوم الضيق وهو يعرف المتوكلين عليه» (ناحوم ١:٧).

إذن صلاة الإيمان القوي هي الصلاة التي ترتبط بشخص الرب مهما كانت الظروف، وهي التي تتعلق بالرب وسط أنواع التجارب وأهوال الحياة، بنفس القدر الذي ترتبط به بالرب وسط ابتسامات الأيام ومسراتها.. وفي هذا المعنى يقول الرسول «ليتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أو بموت» (في ١: ٢٠) «فإن عشنا للرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت، وإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو ١٤:٨).

إن اختبارنا المسيحى يعلمنا أننا مرات صلينا بإيمان، لأجل أحباء مرضى وباركهم الرب بالشفاء، ومرات صلينا بإيمان لأجل أعزاء لنا، ولكنهم رقدوا فى الرب... إن ارادة الله فوق كل شئ، وهى غير منفصلة عن قوانين الطبيعة والجسد والعقل الإنسانى، وهى كلها من صنعه تعالى. كما أن الله هو الذى يستخدم الإنسان والظروف، وليس الإنسان هو الذى يستخدم الله كما يريد .. حاشا..

إن موهبة الشفاء لا نجدها ضمن قوائم المواهب إلا فى رسالة كورنثوس فقط مثل التكلم بألسنة، وينطبق عليها ما قدمناه عن ظاهرة الألسنة فى كورنثوس، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى كانت ترتبط بالمكان والزمان وبالحاجة حيث كانت وسائل التشخيص والعلاج فى مهدها المحدود. وفى ذلك الزمن البعيد كانت تختلط على الناس الأمراض العضوية. وتلك التى لها أسباب نفسية وعصبية والتى يسمونها فى مجال الطب النفسى «سيكوسوماتيك» وعلى كل ففى جميع الأحوال نحتاج أن نربط بين الإيمان القوى الذى يساعد فى تقدم كل الحالات بدون شك، وبين أهمية العلاج المتخصص الذى هو نور ورحمة من الله لآلام الناس.

كما أن البعض يخلط بين الشفاء كموهبة وردت فقط - كما ذكرنا من قبل - فى قائمة كورنثوس، وتحدثنا عنها ضمن الحديث عن المواهب عامة وبين الشفاء كآية فى أيام السيد المسيح والرسل (*) فى العهد الجديد.

(*) أرجو العودة إلى كتابنا «الحركة الكاريزماتية» صفحات ٧ - ٧٢.

فلقد رفض المسيح أن يربط كل مرض بخطية معينة، كما فى قصة المولود أعمى، لكنه لم ينكر هذا الربط فى بعض الظروف الأخرى مثلما حدث بعد شفاء المفلوج عند بركة حسدا (يو ٩:١-٣،٥:١٤). كما أن يسوع أكد مراراً أن شفاءه هو إعلان ملكوت الله للبشر، أى أن شفاء يسوع كان «علامة المسيا» الذى هو مجسم ومعلن الملكوت (متى ١٠:١-٦، لوقا ٧:٢١، أع٢:٢٢، ١٠:٣٨). ولذلك ارتبط شفاء يسوع بغفران الخطايا كالمطلب الأساسى له، وكان الشفاء علامة نوال هذا المطلب (مرقس ٢:١-١٢).

من هنا كان الشفاء الجسدى العلامة الأكيدة لظهور ملكوت الله وتثبيت الإعلان الجديد، سواء فى أيام يسوع، أو فى عصر الرسل، لتقوم الكنيسة بعملها وإرساليتها (متى ١٠:١، مر ١٦:٨، أع ٤:٣٠، عب ٢:٤) أما بعد ذلك فلا نجد مجالاً أو ضرورة لهذا المعنى أو «لآية الشفاء» فلقد جاء الملكوت وتثبت الإعلان بالرسل منذ الفى عام. وحتى النص الموجود فى (يع ٥:١٥) تخبرنا القرينة إنه عرض «لزلات» و«مشقات» وبالتالى زال المرض بالاعتراف والصلاة.

من كل ما سبق، نحن نقبل شفاء إلهنا القادر بكل الطرق، وفى نفس الوقت نرى يده العاملة معنا وفينا فى كل الظروف. والمؤمن الحقيقى الممتلئ بروح الله يؤمن ويثق أنه «فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا»، وأيضاً «إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى». وهكذا نظل «شاكرين فى كل حين على كل شئ»..

الفصل التاسع

هذا النوع من التفكير

هذا النوع من التفكير عند البعض الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق، لا يربط فقط بين حياة الإيمان والملء بالروح القدس، وبين الحياة السهلة الخالية من الآلام والأمراض والمشكلات، بل يتعامل مع كل ظرورف الواقع اليومى بطريقة غيبية اسطورية تعتمد دائماً على الاختبارات الخارقة والمعجزات الفائقة للطبيعة. ويقف حرفياً أمام الأجزاء فوق الطبيعية فى قصص العهد القديم والجديد، ويردد دائماً الروايات التى تنتشر بين الناس، أو التى يقرأونها فى بعض الكتب المنتشرة هذه الأيام والتى تروج لمثل هذه الاتجاهات.

ونحن لا ننكر على الناس اختباراتهم مهما احتوت فى تفاصيلها من صدق أو مبالغة، فالله أحياناً يتعامل مع بعض الناس، بحسب بساطة قلوبهم بطريقة تشجعهم وتقوى إيمانهم، كما نتعامل أحياناً مع ابنائنا وأطفالنا الصغار حتى لا نعثرهم، كما تؤمن إيماناً كاملاً بقدرة إلهنا المحب والعظيم، الذى لا يستحيل عليه أمر كما ذكرنا فى الصفحات السابقة،

ولكن الذى نتوقف عنده بل نرفضه أن يروج البعض لمثل هذه الاختبارات والروايات، ولمثل هذا التفكير البعيد عن الروحانية الناضجة الأصيلة، وعن الفهم الكتابى المتعمق والواعى، وعن المنهج العلمى فى التفكير والسلوك، وعن الواقع المعاش الذى يحياه الناس. مما أدى ويؤدى عند بعض الشباب أو الكبار إلى البلبلة والتطرف والشطط أو الفشل الروحى الذى يصل إلى الصراع واليأس والشك فى عناية الله، والابتعاد عنه، إذا لم تتم هذه الأمور الخارقة فى حياتهم. وكم تمزقت وتألمت كراعى، عندما لمست بنفسى هذه المحنة وهذا الصراع الرهيب الذى يهدد حياة بعض الأحباء الذين يجتازون الأوقات العاصفة والصعبة، والذين سقطوا صرعى الشك فى محبة وعناية الله وفى استجابته لصراخهم، وفى جدوى استمرار العلاقة معه، بسبب هذا التفكير المدمر، وما أكثر الساعات والليالى التى قضيتها معهم محاولاً قدر الطاقة أن آخذ بيدهم، وأن نتلمس معاً خطوة خطوة نور اليقين والإيمان، وسط الظلام الحالك. وربما يتوق الناس فى ظروفهم الصعبة وضغوط الحياة القاسية إلى الاختبارات المعجزية الخارقة للطبيعة لأنهم يبحثون عن شئ ما يدعمون به إيمانهم، كما يقول Brother Andrew مع Susan Devore Williams فى كتابهما «الصلاة هل تغير فكر الله؟» والذى نقله إلى العربية القس باقى صدقة. ولكن فى الفصل الرابع من هذا الكتاب يقول المؤلف «قلما تغير هذه المعجزات حياتهم ذلك لأن الاختبارات المثيرة وغير العادية لا تكوِّن علاقة. إن معجزة واحدة، أو حتى عدة معجزات، لا تقدر أن تحفظ إيمان شخص ما. فإن الاسرائيليين فى أيام موسى وأيام ابراهيم شاهدوا المعجزات واحدة تلو الأخرى، ومع ذلك صاروا يعبدون الأصنام، ثم يضيف «إن الاختبارات سرعان ما تذبل وتبلى، لنسأل مثلا

زوجة بعد مضى خمسين سنة على زواجها: هل لا تزال محتفظة بزوجها لمجرد أنها تذكر مظهره الجذاب وكلماته الحلوة يوم الزواج؟ الحقيقة أنها إذا لم تكن علاقتهما معاً قد نضجت عبر السنين بسبب الولاء المتبادل وتبادل الأفكار والاحترام والعواطف، فإن أعظم ذكريات يوم الزفاف أو شهر العسل غير كافية أن تحفظ لهذا الزواج حيويته أو تضمن استمراره.

اننا ببساطة لا يمكن أن نعيش على الاختبارات مهما بدت فى وقتها مثيرة. فالاختبارات هى بمثابة عشاء الأسبوع الماضى - كان لذيذاً في وقته، لكن سرعان ما انتهى الإحساس بلذته. وإذا كنا نعتمد على وجبة غذائية لذيذة تناولناها يوما ما الأسبوع الماضى لكى تعطينا الطاقة التى نحتاج إليها، فإننا نكون أمام مشكلة حقيقية.

وهكذا الحال بالنسبة لعلاقتنا مع الله. إن اختباراتنا معه فوق قمة الجبل، ليست هى التى تعلنه أو تكشفه لنا، ولكن الذى يحقق لنا ذلك هو حضوره اليومى المستمر معنا فى أحداث حياتنا العادية وغير العادية.

من بين العناوين المثيرة للاهتمام فى كتاب من الكتب الكثيرة التى كتبها Oswald Chamber: «هل تستطيع النزول؟». وقد أراد الكاتب أن يؤكد أننا لا نستطيع أن نبقى دائماً فوق قمة الجبل، كما تمنى بطرس بعد تجلي يسوع، وظهور موسى وإيليا معه (متى ١٧: ١-٤). فلابد من النزول ثانية إلى الوادى، حيث صراع الحياة الحقيقية والواقعية حولنا، فهنا يكون حضور يسوع الحقيقى ملموساً وواضحاً أكثر مما هو فوق الجبل حيث قد لا نستطيع أن نعمل أو نقول شيئاً معقولاً.

وإذ نسير مع يسوع، نتعلم باستمرار أن نعرف حبه وأن نثق فيه، وبمرور الوقت، وبتدرج، وباستمرار، يبنى هو فينا الإيمان والحكمة، التى نحتاج إليها لكى نصلى بكل تبصر وقوة وسلطان كما علمنا.

ومن العجيب حقاً أنه بفضل ما أكمله يسوع على الصليب، فإننا نستطيع أن نشعر بانتمائنا لله على مستوى لم يكن يخطر ببال الأنبياء الذين عاينوا أعظم معجزاته.

من هنا نرى أن الاختبارات المثيرة والمعجزات العديدة التى صنعها الله مع الشعب القديم فى كل مراحله لم تحفظه من خطية العصيان وعبادة الأصنام، كما أن الخروج المعجزى بيد رفيعة وذراع ممدودة من مصر، لم يمنعهم عندما ابطأ موسى فى النزول من على الجبل، من أن يصنعوا عجلاً مسبوكاً يسجدون ويذبحون له قائلين «هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر» (خروج ٣٢:٧و٨).

ونستطيع أن نرى ذلك بوضوح فى العهد الجديد، حيث يقول الرسول يوحنا تعليقاً على المعجزات والآيات التى صنعها يسوع قدام الجماهير «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب...» (يوحنا ١٢:٣٧-٣٩). وعندما كانت الجموع تلهث وراء الآيات الخارقة، وتربط بينها وبين الإيمان بيسوع سائلة إياه «فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك. ماذا تعمل» واستشهدوا بنزول المن من السماء فى البرية لآبائهم، أوضح لهم يسوع عن نفسه أن الآب قد أعطاهم ما هو أعظم، لقد أعطاهم الخبز الحقيقى النازل من السماء، الواهب الحياة للعالم، وأنه هو خبز الحياة، من يقبل إليه

لا يجوع ومن يؤمن به لا يعطش ابداً ثم أعلن يسوع «ولكنى قلت لكم انكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون» (يوحنا ٦:٢٨-٣٦)!!

هذا النوع من التفكير إذن لا يكشف فقط نوعية المتلقى، بل يكشف أيضاً نوعية المروج له، والذى يستغل بساطة الناس أو ظروفهم، وهو كما يعلن يسوع، بعيد تماماً عن ثمر الإيمان الحقيقى، بل قد يكون من زمرة فاعلى الإثم «كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك تنبانا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط. إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم» (متى ٧:٢٢و٢٣).

لا يرتبط هذا الاتجاه إذن بالإيمان والروحانية، بل يرتبط أصلاً بالسطحية والغيبوية الفكرية، التى تفشت فى المجتمع، والتمسك بالكثير من الخرافات والخزعبلات، والشعوذة باسم الإيمان والروحانية، وما الخرافة إلا أن يبحث الناس بكل الطرق عن التماس النتائج من غير أسبابها الحقيقية، هرباً من مواجهة مشكلات الواقع وظروف الحياة، وبحثاً عن الحلول الأسهل والأسرع، حتى إن كانت هذه الحلول من أفاعيل السحر فى شكل دينى. فالإنسان الذى استبد به الضيق والقلق والاضطراب، ولا يملك فى نفس الوقت بناء، روحياً وفكرياً راسخاً يمنحه الثبات واليقين، يريد شعاعاً من الأمل حتى ولو كان كاذباً. وهنا تكون مهمة القائد أو المرشد الحقيقى المسئول خطيرة للغاية، وهى أن يأخذ بيد هذا الإنسان إلى نضوج وعمق الإيمان وصدقه، فيدرك معية الله له، فى كل تقلبات الحياة، وصعوباتها وصراعاتها، وأن يتخذ القرارات السليمة الواعية الواجبة، وأن يختبر كسيده الآلام والأمجاد التى

بعدها فى قلب الواقع اليومى، بإيمانه وقلبه وعقله وعلمه معاً.

لكن المأساة الحقيقية هى أن بعض الذين يتصدون للقيادة والارشاد جرفتهم هذه الموجه الغيبية، التى تجرف الكثيرين حتى من المتعلمين، فى المجتمع، والذين يظنون أنه يجب أن ينتظر دائماً معجزة خارقة، توقف قوانين الطبيعة برهاناً على عظمة إلهنا فى حياتنا، وإلا فكيف يكون الله عظيماً، دون أن يكون قادراً على تحطيم أو تعطيل قوانين الطبيعة التى صنعها ؟!

ولكى أوكد لك أيها القارئ العزيز أن المأساة عامة وليست فقط فى الجو الكنسى أو المحيط المسيحى، ولكنها تشمل الكثيرين من كل الأوساط فى المجتمع، سأكتفى بأن أورد لك بعض الفقرات من كتاب للمفكر الكبير د. زكى نجيب محمود فى محاولة لرصد هذا النوع من التفكير وتحليله. الكتاب اسمه «الكوميديا الأرضية» فى مقال بعنوان «نفوس فقيرة» وفى صفحتي ٨٢ و٨٣ يقول: «العظمة فى الشرق معناها الطغيان، والطغيان من معانيه كسر القوانين، فيستحيل أن يكون عظيماً عندنا إن أطاع القانون، حتى لو كان هذا القانون من وضعه هو، لأن العبث بالقيود هى عندنا الحد الفاصل بين السيد والمسود. فقل لى إلى أى حد تستطيع فى الشرق أن تعبث بالقانون والنظام، أقل لك فى أى مرتبة أنت من مراتب المجتمع، فأعلاها منزلة أكثرها عبثاً، وأدناها أقلها.

ولعل هذه الفكرة قد بلغت أقصاها تطرفاً، حين أرادوا أن يتصوروا كمال الله ومطلق سلطانه وسيادته، فتصوروه فاعلاً للمعجزات والمعجزة هى إيقاف قانون من قوانين الطبيعة وتعطيله، فلما كان الله أكمل ما يكون الكائن

جبروتاً وسلطاناً، فلابد أن يكون أقدر ما يكون الكائن على تعطيل القوانين الطبيعية كيف شاء وحيث شاء، أما أن يكون كمال الله - كما تصوره سبينوزا - هو أن تظل قوانين الكون قائمة مطردة، فذلك تصور بعيد جداً عن تصورهم لمعنى العظمة والجلال.»

إننا نريد أن نؤكد فى ختام هذا الفصل أن إلهنا العظيم هو الذى اتقن العالمين بكلمته وصنع قوانين الطبيعة ونظمها، وهو يستطيع أن يتدخل فيها متى أراد ولكن قاعدة ارادته، أن يسير الكون ويحكم بقوانينه، التى وضعها الله له، وإلا عمت الفوضى والدمار هذا العالم الذى نعيش فيه.

ودعوة الله لنا أن نفهم هذه القوانين ونكتشفها ونتصرف بقدر ما تدركه عقولنا - التى وهبها هو لنا - من هذه القوانين والنظم، فلقد أمر الله الإنسان أن يسود على الكون، بمعنى أن نربط ونمزج الإيمان الواثق بالعلم الصحيح وأن نفهم كلام الله وعالم الله، وإن تنفتح قلوبنا لنعمته وحكمته، حتى نحيا فى إطار ارادته وطاعته، وأن نتحمل مسئوليتنا فى العمل ،مع الله فى تغيير هذا العالم إلى الأفضل، وأن نكون على استعداد للتضحية فى سبيل تحقيق مقاصده السامية، وسط ظروف الحياة المختلفة.

بمعنى أن الموقف الذى نريد أن ننتهى إليه كشعب للرب، يحيا إيمانه ويعيش عصره، أن لا نجعل بين الدين والعلم، أو بين الإيمان والعقل تعارضاً، بل أن نجعل بينهما تعاوناً على الوصول إلى الهدف الواحد، فى انصهار فكرى روحى ناضج.

الفصل العاشر

الحياة بالروح وبالذهن

كثيراً ما يدور على أفواه الناس ويتردد باستمرار بين الحين والآخر هذا السؤال: هل من تناقض للحياة بالروح وللحياة بالذهن؟؟ بمعنى، المؤمن الممتلئ بالروح القدس، والذى يريد أن يحيا دائماً بالروح وفى الروح، هل هو فى حاجة إلى إعمال ذهنه والتفكير بعقلة فى أمور حياته أم لا؟

لبداية الإجابة على هذا السؤال أن نعود إلى الكلمة المقدسة، سواء فى العهد القديم مثل سفر (الأمثال ٢:١-١٢) وفى العهد الجديد مثل رسالة كورنثوس الأولى (١ كو ١٤:١-٢٠) وهنا نرى أنه لا يوجد هذا التناقض المزعوم. بل ومن خلال الدراسات السابقة لعمل الروح القدس استطعنا أن نفك هذا التناقض الشكلى عند الناس، لأن الروح القدس يجدد الذهن وينيره ويستخدمه. وبالتالى فعندما أكون فى الروح أكون فى الذهن أيضاً أى الذهن المسيحى الذى تجدد واستنار بالروح القدس.

إذن حياة الملء بالمفهوم المتكامل للاهوتنا ولكلمة الله، هى حياة الاستخدام الأفضل للعقل البشرى وللذهن المستنير بالروح القدس.

هنا لا يوجد تناقض بل تطابق وتعاون. لماذا....؟؟ لماذا نبرز بين الحين والآخر هذه الحقيقة الهامة أن الحياة بالروح القدس هى حياة بالذهن المستنير بهذا الروح؟

نحن نعلن ذلك لعدة أسباب:

أولاً :

أن الله عندما خلق الإنسان على صورته، ميزه عن كل الكائنات بهذه العطية الرائعة والراقية، بهذا الذهن. وبالتالى أراد الله أن ينفرد الإنسان فى حياته وعبادته وخدمته وتمجيده، باستخدام هذه العطية التى يتميز بها. فليس من المعقول أن يطمر الإنسان أو يلغى عطية الله التى هى علامة تفرده بتغييب عقله.

ثانياً :

أن الإنسان كل لا يتجزأ، وعندما يسكن الله بالروح القدس فى الإنسان يستخدم كل الإنسان، أى يستخدم عاطفته وإرادته ويستخدم أيضاً عقله، فالله يتعامل مع الكيان الإنسانى ككل. وفى مرات كثيرة يعبر عن كل الكيان الإنسانى فى كلمة الرب إما بالعقل أو بالقلب أو بالأثنين معاً.

ويبدو هذا أيضاً فى الكلمة الإنجليزية Sense والتى يقصد بها العقل أصلاً، لكنها تعنى أيضاً الشعور. فأحياناً نقول Common Sense أى الحس المشترك أو التفكير المشترك بين كل الجماعة والمجتمع، وبالتالى الإنسان كل لا يتجزأ، والعقل جزء رئيسى من هذا الكل، والمشاعر حقيقة

فى هذا الكل ومؤثر هام فى حياتنا انتصاراً وهزيمة. وإن كان يجب أن نعبر عن مشاعرنا بأنواعها المختلفة، فيجب أيضاً أن نتدرب على كيفية التحكم فيها، وتوجيهها بالعقل الواعى المستنير بالروح القدس.

ثالثاً :

إن معظم مآسى الحياة تأتى نتيجة أفكار ومفاهيم خاطئة، وعندما نصحح أفكارنا فى نور الروح القدس ونور كلمة الله، ننقذ نفوسنا من مآسٍ كثيرة جداً. فتصحيح المفهوم وتصحيح الفكر بداية للنجاة والإنقاذ، ولتجنب الكثير من المشكلات.

رابعاً :

لا يمكن للمؤمن أن يعيش حياة مسيحية ،نامية، منتصرة، بدون أن يملك الروح القدس على ذهنه، وأن يستخدم هذا الذهن لمجده.

مثلاً : يقول النبى فى إشعياء القصيدة الرائعة «ذو الرأى الممكن» ذو الفكر العميق الثابت الواضح الناضج - «تحفظه سالماً سالماً» فى سلامة وسلام «لأنه عليك متوكل» (اش ٢٦:٣) وبالتالى لا يمكن لمؤمن إطلاقاً أن يعيش حياة واعية ناضجة بدون حياة تستخدم الرأى الممكن والتفكير السليم.

خامساً :

عندما نعمل على تغييب عقولنا، ونتوقف عن التفكير السليم، نكون عرضة لتطبيقات خاطئة فى إطارنا المسيحى وفى حياتنا الروحية، أو

اندفاعات مفاجئة تدفعنا إليها الغيرة التى ليست حسب المعرفة، فالمشكلة فى كنيسة لم تنضج بعد مثل كنيسة كورنثوس، إنها كنيسة اندفعت بالغيرة ولم تمتلئ بالمعرفة، وبالتالى يركز لهم الرسول على وجوب الغيرة والمعرفة معاً.

سادساً :

ما الذى يحدث التطرف فى العالم العربى وفى العالم أجمع؟ ما الذى يحدث الردة فى مجتمعنا؟ ما الذى يبعث المشكلات وعدم الاستقرار ويوقف عجلة تنمية هذا البلد؟ ويريد أن يعود به إلى قرون سحيقة مضت؟ ويغلق على كل الناس فى ظلام دامس؟؟ من؟؟ عقول لم تستنر بروح الله، لم تفهم!! ولذلك عرّف أحدهم التطرف بأنه قلب ملتهب وعقل فارغ. والمفاهيم السليمة هى التى توجه العواطف، وإلا تصبح العواطف عواصف تمزق الدنيا وتطيح بها.

ولذلك من المهم أن يشرق الله بنور روحه على ذهن الإنسان، فيعطى له القدرة على التحكم وضبط النفس والاتزان. وهنا يكون العقل «عقالاً» أو «رباطاً» كما فى لغتنا العربية وينظم الحياة بحكمة وتوازن.

سابعاً :

هناك خلط بين البساطة والسطحية. يوجد فرق بين البساطة أى القلب الموحد والسلوك المستقيم، وبين السطحية أى الشخص الهامشى الذى يعيش على القشور ولا يمتلئ بالمعرفة.

لذلك يقول الرسول فى (١ كو ١٤:٢٠) «أيها الأخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر وأما فى الأذهان فكونوا كاملين» أى كونوا بسطاء فى الشر، يعنى ليكن لكم السلوك المستقيم، «أما فى الأذهان فكونوا كاملين» بمعنى ناضجين تامين. إذن هناك فرق بين البساطة أى وحدة النفس ونقاء السلوك، وبين السطحية أى عدم المعرفة وعدم العمق.

ثامناً :

الامانة ليست بديلاً للكفاءة، والعكس صحيح أيضاً. الامانة هامة ولكن الأمين غير الكفء غير مثمر أو فعال بالطريقة الواجبة، والكفء غير الأمين ينحرف ويفسد ويشوه كفاءته. لذلك يقول الرسول فى (٢ تيمو ٢:٢) «أمناء يكونون أكفاء»، الامانة والكفاءة معاً ويقول النبى فى (أش ١٣:٥٢) عن عبد الرب فى واحده من أروع قصائده «هوذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جداً».

والعهد الجديد يمتلئ كالعهد القديم بالأجزاء التى تدعو إلى المعرفة والفهم التى هى الطريق للنضوج الإنسانى.

من كل ما سبق نرى أن الحياة المسيحية التى هى «الحياة فى المسيح» هى الحياة بالروح وبالذهن معاً، حياة الامتلاء بالروح والنمو فى المسيح والنضوج فى المعرفة والاستخدام الأمثل والأفضل لعقولنا.

«إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك» (أمثال ٢:١٠،١١).

والسؤال الذى يجب أن نثيره الآن: ما هى بعض مجالات هذه الحياة؟

هذا ما سوف نجيب عليه فى الصفحات التالية فى مجالين:

- مجال العبادة .

- مجال الإيمان

ولأهمية هذين المجالين سوف نتوقف أمام كل منهما فى فصل مستقل.

الفصل الحادي عشر

العـــبادة العـقـليـة

مجال العبادة من المجالات الهامة التى فيها يعمل الروح القدس، لتصبح العبادة مثمرة فتشكل أفكارنا وسلوكنا، وتوحد بين إيماننا وحياتنا العملية اليومية وعلاقاتنا الاجتماعية. والروح القدس يعمل فى العبادة من خلال أذهاننا.

فى (رومية ١٢) يتحدثِ الرسول بولس عن العبادة العقلية لنختبر ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة، أى العبادة الواعية، والعبادة تتكون من أكثر من جانب:

الصلاة:

يقول الرسول فى (١ كو ١٤) «أصلى بالروح، وأصلى بالذهن أيضاً» ولقد علمنا الرب يسوع «لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم» (أى بدون تفكير، بدون معنى) «فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم». (متي ٦:٧) إذن الصلاة نوع من التفكير مع الله وقدام الله.

هنا يستخدم الروح القدس أذهاننا ويقود ويوجه مشاعرنا فى حديث الأخذ والعطاء، وندخل فى شركة عميقة مع الله فى الصلاة، فتصبح الصلاة عامل بناء ونمو فى العلاقة مع أبينا السماوى.

التسبيح :

هو تمجيد للرب من أجل شخصه ومن أجل عمله، وسفر المزامير بصفة عامة سفر تسبيح، وهو عبارة عن تمجيد للرب من أجل ما صنع، كخالق ومخلص.

والعقل الذى يفكر فى من هو الله؟ وماذا عمل؟ ينطق بالسبح والتمجيد للرب، ولذلك يقول الرسول «أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً».

يقول أيضاً وهو ينظر فى انبهار وفى عاطفة جياشة إلى هذه الأعمال: «الذى احبنى واسلم نفسه لأجلى» هو فكر فى أعمال الله ولذلك انفجرت مشاعره بالسبح.

وكتاب الترنيم عبارة عن شكر من أجل صنيع الرب يسوع لأجلنا، مجيئه، حياته، موته، قيامته، صعوده، انسكاب الروح القدس وسكناه فينا، شفاعته، مجيئه الثانى. هذه الحقائق الكبرى لإيماننا المسيحى أمور تدرك بالذهن، نفكر فيها فنمتلئ بالفرح والترنم.

فى العهد القديم نجد أعمال الله God in Acts الله العامل فى التاريخ، بعمل نعمته.

وفى العهد الجديد نجد Grace to Day النعمة الآن فى المسيح. النعمة التى شملتنى وغيرتنى وخلقت منى أنا الإنسان المائت الهالك، كياناً يحمل نور الإنجيل للناس، إذن هى النعمة، هنا تنطلق العاطفة عندما يمتلئ الذهن بصنيع الله من أجلى.

الترنيم والصلاة بالروح والذهن معاً.

الكلمة :

ينادى الرسول بولس فى (كولوسى ٣:١٦) «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب» والسؤال هنا كيف تصل النعمة لتلمس القلب فى الداخل فتحرك العواطف؟ أين الطريق؟ الإجابة عندما تسكن كلمة المسيح بغنى فى الذهن، هكذا يشدو القلب بنعمة فى الداخل فنسبح ونعظم الله.

ولقد عودنا الرسول بولس عندما يقدم لاهوتيات عميقة، أن يقدمها فى جو التعبد والتسبيح والتمجيد يريد أن يعلمنا الارتباط الوثيق بالروح القدس بين اللاهوت Theology وبين التمجيد Doxology بين الروح والذهن معاً. إن الحديث لا يكون عن إلغاء أى منهما بل ما هو المدخل الأول الذى يؤدى إلى الثانى، المدخل هو الذهن الذى يلهم ويلهب العاطفة ويعطى لها كيفية الاستخدام والتوجه الصحيح.

من هنا يكون مجال العبادة من المجالات الهامة فى تشكيل حياة المؤمن وفى خدمته، وهى كلها يستخدمها الروح بالذهن وفى الذهن. أما العبادة

التى بلا ذهن فهى عبادة بلا ثمر، بلا فاعلية.

ليس المطلوب أن تكون العبادة جامدة جافة، فالعبادة غير الحية عبادة غير محركة وغير فعالة ولا تعبر عن مفهومنا المسيحى، وليس المطلوب أيضاً أن تكون غير منضبطة أو غير مدركة أو واعية لأنها ستنتهى إلى نفس النهاية، فالعبادة الحقيقية هى العبادة الحية المعبرة عن المشاعر العميقة الفياضة من خلال اليقين الشديد بوجود الرب وعمله فينا فى نور كلمته الغنية. هذه المعادلة الصحيحة ينبغى أن تكون فى عبادتنا المسيحية، أن نعود فعلاً للاحتفال بالرب من خلال التفكير فى الرب «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» بالروح والذهن ينبغى أن يسجدوا.

عندما كان تلميذا عمواس فى الطريق فى حزن وعبوسة وإحساس بضياع الأمل والرجاء لموت المسيح، ظهر لهما الرب يسوع فى الطريق وبدأ يعلمهما وينير أذهانهما فقالا: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا حين كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب».

متى التهب القلب؟ عندما أصبحت الكتب واضحة فى الذهن. هنا الالتهاب الصحى المطلوب، أن تفيض المشاعر من نبع روحى صحيح من خلال امتلاء الذهن بكلمة الله بغنى ووفرة.

هناك دور للعاطفة فى العبادة، فعبادة بلا عاطفة - كيف !! أيوجد إنسان بلا عاطفة!!! العاطفة كنز ثمين دافئ رائع عذب يعطر جو الحياة، ولكن كيف؟ عندما يلهمها ويلهبها العقل المستنير بالروح القدس.

ماذا يقول المرنم؟ يقول : «وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب» لاحظوا العلاقة بين الوصايا وبين الفرح والتعزية. أيضاً يقول «شهاداتك هى لذتى» وفى كلمات أخرى يقول «هذه هى تعزيتى فى مذلتى لأن قولك أحيانى» «تذكرت أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزيت» «ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى».

وفى (نحميا ٨: ١٢) «ذهب كل الشعب ليأكلوا ويشربوا ويبعثوا أنصبة ويعملوا فرحاً عظيماً لأنهم فهموا الكلام الذى علموهم أياه». فرحوا فرحاً عظيماً لأنهم فهموا.

إذن العبادة العاطفية فقط بدون معرفة وفهم غنى للتعليم، تؤدى إلى الشطط والخرافة والتطرف، كما أن العبادة التى تشتمل على معرفة فقط بدون عمل روح الله فى الذهن والعاطفة الملهمة، لا تشكل الحياة، ولا تؤثر فيها لأنها عبادة جامدة هامدة بلا حياة.

الفصل الثاني عشر

الإيمان الصحيح والتفكير الصحيح

سبق ودرسنا جانباً من هذا المجال أثناء الحديث عن «هذا النوع من التفكير» ولذلك سنركز هنا على إبراز العلاقة الوثيقة بين الإيمان الصحيح والتفكير الصحيح.

فمجال الإيمان من أكثر المجالات لبساً وإساءة فهم عند الناس، فعندما يقول شخص ما إنه يعيش بالإيمان نجد أن الانطباع السائد للسامع لهذه الجملة المألوفة أن هذا الشخص لا يفكر فى حياته بل «يعيش بالبركة»!! ولست أدرى من أين جاء هذا الفهم الخاطئ!!. إن الانطباع الذى ساد أن الإيمان نقيض تماماً للتفكير والعقل، ولكن من خلال الدراسة فى كلمة الرب نستطيع أن نتبين أن الإيمان ليس نقيضاً للتفكير والفهم المستنير، بل نقيض للعيان «أى الشئ الذى يرى بالعين». ومن هنا قال الرب لتوما «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» وفى (عب ١١:٣) يقول كاتب رسالة العبرانيين «بالإيمان نفهم» أى أن الإيمان يعطينا القدرة على الفهم، والفهم يعمق فينا اليقين بالإيمان. وقد قال القديس أوغسطينوس نفس المعنى «أؤمن لأفهم»

فهناك علاقة واضحة بين الإيمان والفهم.

المشكلة أن الناس تربط بين الإيمان والملموس والمحسوس فالبعض يقول «إن لم ألمس لا أصدق، أن لم تحدث معجزة لا أؤمن»!! لكن الكتاب المقدس يعلمنا أن «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى». فالإيمان الحقيقى هو إيمان منطقى عقلى، أى إيمان امتلك الإنسان من خلال قبوله وتصديقه بعقله بعمل الروح القدس، وباستيعابه للكلمة، فاحتوى الكيان الإنسانى ككل، وأصبح الإنسان الذى ينمو بذهنه فى نضوج التعليم وعمق العلاقة مع الله، إنساناً قادراً أن يعيش فعلاً حياته العملية فى ضوء هذا الإيمان، لأن هذا الإيمان لم يؤسس على انفعال ولم ينبنى على ملموسات، بل هو الإيمان الذى يؤسس على صدق شخص الله فى وعوده، والسؤال: كيف نستوعب وعود الله؟؟ وأين تسكن كلمة المسيح فينا بغنى؟؟ بالعقل وفى العقل، وبهذا الإيمان نقول «ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً»، وهنا يكون الإيمان الحقيقى إيماناً قلبياً وتجاوبياً مفكراً وتصديقاً عاقلاً مسبباً لله ولكلمته ولوصاياه ووعوده.

وفى أكثر من مرة أراد السيد المسيح أن يعلم الناس ويزرع فى سامعيه هذا النوع من الإيمان، حتى فى حديثه عن الاتكال اليومى على الرب فى احتياجات الحياة وضغوطها وصراعاتها، ومفاجآتها وتجاربها، فماذا علمنا المسيح عندما قال «انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يقوتها ألستم أنتم بالحرى أفضل منها. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً. ولماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم

إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان» (متى ٦:٢٦-٣٠) لاحظوا كلمة «انظروا» و«تأملوا» فى أصل الكلمة تعنى «فكروا» فإن كان الله يعول الطيور ويكسو زنابق الحقول ألا يعول الإنسان الذى ميزه على كل الكائنات؟ ويهتم بشعبه من أبناء الملكوت؟ تأملوا... فكروا... استخدموا عقولكم استخداماً صحيحاً.

إذن الإيمان الحقيقى يدعونا إلى التفكير اليومى الصحيح فى حياتنا على ضوء يقيننا بشخص إلهنا وعمله ووعوده، أى يدعونا إلى الممارسة العملية لهذه الوعود. وكل مشاكل الإنسان اليومية هى مشاكل ناتجة عن قلة أو عدم الإيمان، لأنه لا يفكر بالذهن المسيحى فتهزمه الظروف.

وهمومنا هى كل أوهامنا، لأننا لا نفكر فنعيش فى دائرة القلق والهواجس، لكن المفكر الذى يلهج بكلمة الرب يستطيع أن يرنم «عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى». إنه إيمان يملأ الفكر فيمتلئ القلب بالتعزية.

إذن «إن كان اليقين هو ابن الإيمان» - عبارة قالها أحد المفكرين - «فالإيمان ابن المعرفة» أى معرفة المسيح ومعرفة الإنجيل وقال آخر «إن نصف قلقنا وهمومنا من عدم ادراكنا لطبيعة إنجيل المسيح، وأن أساس السعادة الروحية هى الرؤية الواضحة لمعرفة إنجيل المسيح.»

من ناحية أخرى هذا الإيمان الذى يعطيه الله فى الذهن فى مرات كثيرة

يفوق الذهن، بمعنى يفوق الإدراك العادى. إنه يحتاج إلى ذهن وإدراك اختبر عمل المسيح واستنار بروحه القدوس، لذلك قد يسبق الإيمان العقل، لكن الإيمان لا يتناقض مع العقل ولا يتمسك بالأشياء التى يرفضها العقل تماماً، أى التى ثبت عدم صحتها باليقين العلمى القاطع، الإيمان قد يسبق عن طريق الاختبار، ثم يبدأ الإنسان يدرك وينضج فى هذا الاختبار أى يتعقل اختباره. فمثلاً، عندما نختبر قبول المسيح، برغم أن الدعوة تأتى عن طريق كلمة الله فى الذهن، لكن الإيمان قد يسبق فيمسك بالقلب. وفى أول الحياة المسيحية لا يكون الإنسان قد نضج وأدرك أبعاد كل ما له من ميراث وغنى، ولكن من خلال النمو والنضوج يتعقل هذا الإيمان ويدرك، ويصبح الإيمان الذى يفوق العقل مدركاً بالعقل بيقين شديد.

إذن هذا الإيمان حتى عندما يفوق العقل ويسبق العقل، يدخل إلى العقل بالإيمان والاختبار وبصدق الكلمة المقدسة، ولذلك أصدق ،وأؤمن وأتجاوب واختبر وأفكر.

من الناحية الأخرى هناك أمور يرفضها العقل بالتجربة البشرية وباليقين العلمى الذى يزداد كل يوم، هذه الأمور لا يقبلها الإيمان، لأن الإيمان يمتلك العقل. وعندما يرفض العقل أشياء ثبت عدم صحتها مثل الخرافات والشعوذة والقصص والروايات التى يتناقلها الناس، يرفضها أيضاً الإيمان الصحيح، فما يرفضه الكتاب وما يرفضه العقل والعلم الصحيح تماماً لا يتمسك به الإيمان إطلاقاً.

... لذلك إذا كنا نقول فى العبادة إننا نرتل بالروح والذهن ونصلى بالروح والذهن، هنا نستطيع أن نقول نحيا بالإيمان بالروح والذهن أيضاً.

وهناك أمور أحياناً فوق طاقة العقل أن يقبلها أو يرفضها وهنا تأتى مخاطرة وجرأة وجسارة الإيمان طالما أنه لم يثبت ببرهان عقلى وعلمى واضح رفض هذه الأمور، لأن الإيمان مرتبط بالمخاطرة كما أنه مرتبط بالتفكير الصحيح باستمرار.

فمثلاً، ماذا أفعل عندما أواجه مشكلة ما كمؤمن؟ الإيمان الصحيح يقول فكر مصلياً فى المشكلة من أجل أن يعطيك الله الأفكار التى تجد بها الحلول السليمة، ثم أخطو خطوات عملية نحو الحل، لكن أن تصلى وتقف جامداً سلبياً فقط فليس هذا من الإيمان، لأن الإيمان يدفع إلى التفكير الصحيح وإلى الخطوات العملية الإيجابية.

وهكذا إذا امتلأنا من الإيمان الناضج الواعى تكون لنا الحواس المدربة على التمييز والتفكير، القادرة على الحكم، القادرة على الاختيار وإتخاذ القرار الصائب والمناسب. أما بدون الإيمان واستنارة الروح القدس يصبح العقل الإنسانى العادى المحدود معرضاً للشطط والتطرف والجمود والكبرياء.

فالإيمان يحول عقلى إلى خلايا جديدة متجددة، قادرة أن ترى وأن تفكر بفكر المسيح وأن تبتكر فى نور الإيمان.

خاتمة

دعــوة مثــلثــة

عندما يطلب الرسول «ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم، ليوم الفداء» (أفسس ٤: ٣٠) يريد أن يقول أن الروح القدس هو روح الحق.، فلا نحزنه بعدم الفهم الصحيح، والسطحية التى تعصف بنا فى طريق كل ريح تعليم، فى وقت كثر فيه عدد المعلمين بين الشباب والكبار، وقل فيه التعليم الكتابى الصحيح فى شموله وملئه.

كما يريد الرسول أن يقول أن الروح هو روح الله القدوس، فلا نحزنه بحياة الخطية، وبالضمير المتعثر بل نحيا حياة القداسة والنقاوة التى لنا فى المسيح وسط كل صراعات الحياة فى الجسد. فنحن أبناء للآب القدوس، والحياة فى المسيح هى حياة القداسة.

وأخيراً يريد الرسول أن يقول أن الروح القدس هو روح الإله الواحد ونحن نحزنه بالإنقسام وبالعمل على تمزيق جسد الرب. إن روح الله يوحد الجميع ولا يفرق ويشتت.

إذن يقدم الرسول دعوة مثلثة:

دعوة للدراسة والعمق فى التعليم.

ودعوة للقداسة والنقاوة فى السلوك

ودعوة للوحدة والاندماج فى الجسد، وفى الكنيسة.

والسلوك بالروح القدس بهذا المعنى هو أن تسكن الكلمة بغنى فى قلوبنا فنسعى لحياة القداسة، وأن نعمل على وحدة الكنيسة فنحفظ وحدانية

قضايا الروح القدس تمثل اهتماماً خاصاً لحياة المؤمنين لهذا اختلف الكثيرون حول هذه القضايا وتعددت الآراء وكثرت العقائد . لهذا يحاول المؤلف أن يتعرض لبعض الأسئلة الهامة في هذا الكتاب منها على سبيل المثال وليس الحصر :

* ماهو المفهوم الكتابى للملء بالروح القدس ؟
* وهل هو اختبار مستقل عن علاقة المؤمن السابقة بالرب يسوع ؟
* وهل هو امتياز لجماعة خاصة أم لكل شعب الرب ؟
* وماذا عن المواهب الروحية وكيفية الحصول عليها ؟
* وهل كل المواهب ضرورية لكل العصور ؟
* وماهى مواهب الشفاء؟
* وماذا عن إخراج الشياطين الذى جاء فى العهد الجديد ؟

هذه القضايا وغيرها يتناولها هذا الكتاب بأسلوب كتابى مستخدماً الأساليب العلمية فى التفكير



١٠١٠٣٣٢٤